وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

عنـوان المذكـــرة

الرمز الديني في شعر معين بسيسو

نماذج مختارة

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

مباركة عطية

إشراف الأستاذ:

لخضر تومي

السنة الجامعية:1437/1436

2016/2015

شـكـــر وعرفـــان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي يسر لنا أمورنا ووفقنا، ثم إلى الأستاذ الفاضل لخضر تومي الذي لا يسعني إلا أن أقدم له أسمى آيات الشكر والإمتنان على ما قدمه لي من نصائح بناءة ساعدت على إنجاز هذا البحث

فأقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الحوت في البحر والطير في السماء ليصلون على معلم الناس الخير".

مقدمة

إنَّ من أهم القضايا التي تطرق إليها الشعر العربي المعاصر عامة والشعر الفلسطيني القضية الفلسطينية، التي تم صياغتها في أسطر كثيفة الحضور في النصوص الشعرية ذات الصبغة الوطنية والمُقاوِمة، لدى الشعراء الفلسطينيين الذين اكتووا بنيران الاحتلال كفدوى طوقان ومحمود درويش ومعين بسيسو، هذا الأخير الذي عرض للقضية الوطنية الفلسطينية في شعره بشكل لافت فكانت موضوعه الرئيس في كل دواوينه ، وقد أضفى عليها طابعا رمزيا إبداعيا.

و قد اختلفت الرموز عنده وتنوعت لكننا سلطنا الضوء في دراستنا هذه على الرمز الديني فأفردناه بالتتبع والدراسة، و هذا الحشد الرمزي الديني في شعره كان دافعا قويا لاختيارنا هذا الموضوع ، أما الهدف الرئيس الذي كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع هو فتح نافذة على القضية الفلسطينية وبعثها وإحيائها في العقل والوجدان العربيين.

وعملنا في هذا البحث على الإجابة عن مجموعة من الإشكاليات التي تمحورت حول: ما هو الرمز؟ وما أنواعه؟ وفيما تكمن دلالة الرمز الديني؟ وكيف عمل معين بسيسو على توظيف هذه الرموز الدينية واستثمارها في شعره، وإعطائها الأبعاد الموجودة وتصييرها أدوات جمالية فنية ينقل عبرها أفكاره، ويدل على عواطفه وهواجسه.

وقد انفتحنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لأنهما المنهجان المناسبان لهذه الدراسة، وقد جاءت الدراسة مقسمة إلى مقدمةو مدخل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة.

كان حديثنا في المدخل عن مفهوم الرمز وأنواعه وسماته وكيفية تشكله. وفي الفصل الأول المعنون بالرموز الإسلامية عرضنا لثلاثة عناصر وهي الشخصيات، الأحداث والأمكنة، عالجنا فيه دلالة الرموز الشخصية الإسلامية ودلالة الأحداث ودلالات الأمكنة.

أما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان الرموز المسيحية واليهودية فقد قسمناه قسمين القسم الأول منه جاء حاملا لعنوان الرموز المسيحية و قسم بدوره ثلاثة عناصر: الشخصيات، الأحداث والمكان أما القسم الثاني منه فقد حمل عنوان الرموز اليهودية، وهو الآخر قُسِم ثلاثة عناصر مماثلة للقسم الأول(الرموز المسيحية).

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على خزانة مراجع كان أهمها:

الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر لناصر لوحيشي

المقدس الديني في الشعر العربي المعاصر لأحمد زكي كنون

التأويل وخطاب الرمز لمحمد كعوان

الشعر والدين لكامل فرحان صالح

وإذا كان لابد من ذكر بعض الصعوبات فقد واجهتني صعوبات كأي طالبة باحثة في مسارها العلمي، إلا أنها لم تحل دون إنجاز البحث والمُضي قُدما في إنجازه ، وفي الأخير لا ننسى فضل الأستاذ الفاضل الذي كان له الدور الرئيس في إنجاز وتقويم هذا البحث.

مـــدخـــل:ماهيـــة الرمـــز

أولا:مفهوم الرمز

أ- لغة

ب- إصطلاحا

ثانيا:أنواع الرمز

أ- الرمز الأسطوري

ب- الرمز التاريخي

ج- الرمز الصوفي

د- الرمز الديني

ه- الرمز الطبيعي

ثالثا:سمات الرمز

أ- الإيحائية

ب- الإنفعالية

ج- السياقية

رابعا:كيفية تشكل الرمز

مفـــهوم الرمـــز

الرمز هو ذاك المصطلح الغامض الذي لا يتضح معناه إلا بثقافة ورؤيا واسعة يمتلكها المتلقي، فهو بمثابة شفرة يضعها المبدع في عمله الإبداعي رغبة منه في تجسيد حسا وذوقا راقيا في ذلك العمل،وكثيرا ما نجد الرمز لا يستقر في زاوية معينة أثناء القيام بتعريفه أو إعطائه سمة خاصة، وذلك لقدرته على عملية الكشف عن المعاني والإيحاء، فالرمز قد لا نجد له بديلا يعوضه ويؤدي المعنى الذي يوجد في الرمز.

أ) لغـــة

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (رمز) «الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم»[1].

إذاً هنا ابن منظور يصرح بأن الرمز لا يخرج عن إطار مفهوم الإشارة وقد تكون الإشارة إما بالشفتين أو العينين أو الحاجب أو الشفتين أو الفم.

ويضيف ابن منظور إلى هذا التعريف«والرمز في اللغة كل ما أشرت بلفظ بأي شيء أشرت إليه،بيد أو بعينين ورَمَزَ يَرمُزُ رمزا»[2].

أما في أساس البلاغة للزمخشري فنجد تعريف الرمز كالآتي«فرمز رمز إليه، وكلمة رمزا بشفتيه وحاجبيه ويُقال جارية غمازة بيدها، همازة بعينيها، لمازة بفمها، رمازة بحاجبيها»[3].

---

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر،(د ط)، (د ت)، مج1،ص1127 .

[2]– المصدر نفسه:ص ن.

[3]– أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد(الزمخشري):أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1، 1998، ص266.

نلاحظ أن الزمخشري شأنه – في تعريف الرمز– شأن ابن منظور فهما لا يخرجان عن حيز الإشارة بالعينين والحاجبين.

أما الفيروزابادي نجده يعرف الرمز بأنه«يظم ويحرك الإشارة أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الفم واللسان»[1].

وفي معجم الوسيط الرمز هو«الإيماء والإشارة والعلامة»[2]

فالرمز في معناه اللغوي لا يخرج عن دائرة الإشارة و والإيماء، وهذا ما نجده في قوله تعالى مخاطبا زكريا عليه السلام﴿قالَ ربِّ اجْعَلْ لي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاّ رَمْزًا وَاذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالعَشّيِ والإبْكَارِ﴾[3].

ونجد تفسير هذه الآية الكريمة في تفسير ابن كثير﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آية﴾[4]«أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني»[5]﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾[6] «أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح، ثم أمره بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال»[7].

فقد جاءت هنا أيضا لفظة الرمز حاملة لمعنى الإشارة والإيماء من دون نطق.

---

[1]– مجد الدين محمد بن يعقوب(الفيروزابادي الشيرازي):القاموس المحيط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، مصر، ط3، 1978،مج2، ص175.

[2]–مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث:المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،مصر،ط4، 2004، ص372.

[3]– سورة آل عمران:الآية41.

[4]–سورة آل عمران :الآية 41.

[5]– أبو عبد الرحمن عوض لطفي الجزار: مختصر صحيح تفسير ابن كثير، دار ابن رجب ودار الفوائد، المنصورة، القاهرة، مصر،ج1، ص124.

[6]– سورة آل عمران :الآية41.

[7]– أبو عبد الرحمن عوض لطفي الجزار: مختصر تفسير ابن كثير، ص124.

ب- اصطلاحا

عرف الرمز عدة تعريفات من قِبل أدباء ونقاد وفلاسفة ومفكرين، وهو قبل أن يُعد مصطلحا هو صفة من الصفات التي لا تكاد تنفصل عن تصرفات الإنسان و سلوكياته في في حياته اليومية وفي علاقاته مع بني جنسه.

«إن كلمة "رمز " Symbole مأخوذة عن اليونانية Sun-bolon وتعني قطعة من الخزف أو الخشب تقسم بين شخصين بيد كل واحد منهما قسم يدل على هوية أحدهما ويثبت طبيعة صلته بالآخر، وهذا يتم من خلال إعادة الجمع بين طرفي تلك القطعة المفصولة عن بعضها البعض، وبمجرد وصلها يتم التعارف بين الطرفين»[1] أي أن الرمز كان يتضمن معنيين عند اليونان وهما الفصل والوصل.

«وقد اكتسبت كلمةSun-bolon بعد العصر اليوناني وما راج بعده من ديانات قديمة وصولا إلى عصر المسيحية الأول معنى"دليل انتماء"إلى الجماعة الدينية الواحدة»[2]

ومنه نجد أن كلمة "رمز" كان لها حضورا واضحا في مختلف العصور والديانات مما أدى إلى إخراجها من دائرة المعنى الواحد والدلالة الواحدة وساهم في تجددها وانفتاحها على دلالات متعددة.

[1]- ينظر: بسام الجمل، من الرمز إلى الرمز الديني، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط1، 2007، ص13.
[2]- المرجع نفسه: ص 14.

أما أرسطو فإنه يعتبر «الكلمات رموزا ومعاني»[1].

وهذا ما تمكن تفسيره وشرحه أن أرسطو أعطى الأولوية للأشياء الحسية ووضع الأشياء المعنوية المجردة في المرتبة الثانية وبالتالي الرمز عند أرسطو هو تجسيد شيء حسي في شيء معنوي، وبتعبير بسيط أن الرمز يمر بمرحلة من المجسد إلى المجرد[2].

«فالرمز لا يحمل هويته في ذاته، فهو يستعمل علامات وإشارات سابقة على وجوده»[3].

أي أنه يختفي وراء إشارات وعلامات تحيل إليه وتحمل هويته «فيظن أنه تمثله تمثله بالتشابه أو بالعرف أو بالترابط في الأذهان خاصة كأن يرمز الأسد للقوة والحمامة للسلام»[4].

الحمامة مثلا هي حيوان يحمل في دلالته معنى السلام ومثل هذا المعنى لا يدركه إلا من كان على قدر من الثقافة الإطلاع.

فالرمز ليس أداة تقرير و ومقابلة وانتخاب، وهو يستمد مادته من واقعه فقط ولا يستعير مادته من واقع آخر وإنما يصنع من المادة الصماء نواياه ويظلع من قلب تلك المادة الصماء أرواح الحقائق الكامنة فيها[5].

أي أن حقيقة الرمز تخلق وتنشأ من تلك المادة التي تكون منها الرمز لا غيرها وفي واقع تلك المادة لا واقع آخر.

---

[1]– ينظر: محمد كعوان،التأويل وخطاب الرمز، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة،الجزائر، ط1،2009،ص23

[2]– المرجع نفسه: ص ن

[3]– المرجع نفسه: ص ن.

[4]– نواف نصار: المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2007، ص87.

[5]– ينظر:إيليا حاوي،الرمزية والسريالية في الشعر الغربي العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان،(دط)، 1998، ص142.

كما أن لفظة رمز «لها تاريخ طويل في مجال اللاهوت وهي إحدى مترادفات العقيدة Creed والشعائر والفنون الجميلة»[1].

وهذا يعني أن لفظة "رمز" لها تاريخ قديم في مجال العقائد والشعائر الدينية القديمة كالمسيحية، كما أن لها أيضا شأن في مجال الفنون الجميلة، فالرموز الدينية أو رموز الفنون الجميلة تقوم على علاقة جوهرية بين الإشارة والشيء المشار إليه.

كما نجد تصنيفا آخر للرمز أقره أرسطو حينما وصف«الأصوات التي ننطق بها رموزا دالة على أحوال نفسية، والألفاظ التي تكتب هي بدورها رموزا لتلك الكلمات الي تنطق بها الأصوات»[2].

وهذا يعني أن حالتنا النفسية هي مثيرا دفعيا إلى إخراج أصوات، وهذه الأصوات هي عبارة عن استجابة لحالتنا النفسية، وبالتالي هي رموز دالة على الحالة النفسية، والأصوات هي مثير ثان تولدت عنه استجابة ثانية دفعتنا إلى كتابة هذه الأصوات على شكل ألفاظ مكتوبة وهذه الألفاظ هي رموز دالة على رموز الألفاظ المكتوبة.هكذا يرى أرسطو الرمز بصفته وليدا للحالة النفسية.

أما كولوريدج Coleridge فإنه يربط الرمز بكل ما هو مقدس إذ يقول عنه «إن له طابع السر المقدسSacramental.وبعض أوجه التشابه بين السر المقدس والرمز ستكون واضحة بقوة.فالسر المقدس هو إشارة محسوسة»[3].

فيما أن السر المقدس هو إشارة والرمز إشارة فهذا يعني أن السر المقدس هو الرمز أو هناك علاقة وطيدة بين الرمز والسر المقدس، وهذا ما يسمى باتحاد الذات مع

---

[1]– رينيه ويليك أوستن وارن: نظرية الأدب،تر:عادل سلامة، دار المريخ للنشر،الرياض، السعودية، ط1، ص257.

[2]–تزفيتان تودوروف:نظريات في الرمز، تر: محمد الزكاوي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص20.

[3]– كولوريدج: الخيال الرمزي، تر:عيسى العاكوب،معهد الإنماء العربي،(دط)، بيروت، لبنان، 1992، ص24.

الموضوع ؛أي بين المتلقي المؤمن الإشارة المادية، وعلى حسب كولوريدج أنه بمجرد تخيل الرمز وخلقه في أذهاننا وإدراكنا له له هو ضرب من الفعل الإيماني[1].

وهناك من يجعل الرمز «هو ذاك الشيء الذي يُمنح للشيء المحسوس ويمثل للعقل مشبه الشيء غير المرئي والذي يحس بالتعامل معه»[2].

أي هو معنى غير مرئي لشيء مادي حسي ومرئي، وهذا يدل على أن الرمز يصنع أشياء معنوية نحسها نحن بإدراكنا للأشياء الحسية وذلك بمجرد التعامل مع هذا الرمز الذي يضفي على الأشياء الحسية أشياء معنوية ويمنحها دلالات تظل تلازم ذلك الرمز وتصبح عنوانا له ووسيلة للتعرف عليه،ويظل «الرمز وسيلة للتعرف على الأشياء ودليلا على شيء متفق عليه ...أو هو طريقة يعرف بها شيء مجرد بشيء محسوس»[3].

فهو بمثابة الباب الذي يخفي وراءه مجموعة من الإيحاءات والمعاني المختلفة، يستخلصها كل متلق على حسب قراءاته واستنتاجاته لإبداع مبدع ما،أما من حيث هو دليل شيء متفق عليه، أي متواضع عليه كالألوان فاللون الأبيض للسلام واللون الأخضر للحياة والنماء ...إلخ،كما أن الرمز هو تجسيد شيء مادي محسوس في شيء معنوي غير مرئي.

كما أن الرمز هو «عبارة عن شيء يقوم مقام شيء آخر»[4] وهذا تقريبا نفس ما أشرنا إليه آنفا وهو أن للرمز معنيين المعنى الحاضر هو تلك اللفظة الموجودة التي تحمل معناها الحقيقي الظاهر، والمعنى الإيحائي الخفي الباطني المرموز إليه.

---

[1]–ينظر: كولوريدج، الخيال الرمزي،تر: عيسى العاكوب (المرجع السابق)، ص25.

[2]– السعيد بوسقطة:الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر،منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة،الجزائر،ط2، 2008، ص24

[3]– هيفرو محمد علي ديركي: جمالية الرمز الصوفي، دراسات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص21.

[4]–المرجع نفسه: ص21.

و هو عبارة عن «علاقة اندماجية بين مستوى الأشياء الحسية الرامزة ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وعلاقة التشابه هنا تنحصر في الأثر النفسي لا في المحاكاة ومن ثم فهو يوحي ولا يصرح، يغمض ولا يوضح»[1].

أي أن الرمز يحمل قدرا لا بأس به من الغموض وعدم الإيضاح، والغموض هنا هو عكس الإبهام فالغموض يُفهم والإبهام لا يُفهم فالغموض يُفهم بمجرد أن يقع النص بين يدي متلق مثقف، بينما الإبهام يجهد الذهن، ويستدعي طاقات وقدرات إضافية.

الرمز يحمل طبيعة إيحائية غامضة لا معنى مباشرا واضحا، فهو بطبيعته غامض إيحائي يحمل بين طياته معانيه بحسب السياق الذي وُجِد فيه، فقد نجد أحيانا كلمة تحمل عدة معاني ودلالات مختلفة وهو ما يسمى بوحدة الرمز وتعدد الدلالة ،فتحديد المعنى المرموز تبقى مسؤولية المتلقي لكي يصل إلى ما يقصده المبدع، فالرمز عامل مباشر يقوم بدفع المتلقي إلى التأويل والتفكير في دلالات بعض الألفاظ « فالرمز يحث على التفكير »[2].

فهو يحث المتلقي على إعمال عقله وفكره للوصول إلى دلالات ومعاني تلك الرموز الغامضة، وقد تعود صفة الغموض في الرمز ربما إلى ذلك الاختلاف الذي يسود الرمز، وهذا ما يؤكده ولتر ستيس Walter Stice حينما قال«والرمز بسبب هذا الاختلاف دائما غامض متلبس الدلالة Ambiguous فقد يتخذ المثلث رمز الله، لكنه قد يتخذ كذلك رمزا لدلتا النيل، وبالتالي رمزا للخصوبة»[3].

---

[1]– إبراهيم رماني:الغموض في الشعر العربي الحديث،الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها،(دب)، (دب)،(دط)،2003،ص338.

[2]– بلال موسى بلال العلي: قصة الرمز الديني،(د د ن)،(د ب)،(دب)،(دط)، 2012، ص17.

[3]– ولتر ستيس:فلسفة الروح،تر:إمام عبد الفتاح إمام،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط3، 2005، مج2، ص141.

وهناك من يعبر عن الرمز بتعدد دلالته وليس باختلافه لأن الاختلاف ينجر عنه تعدد الدلالة مما يؤدي بالرمز إلى اتخاذ نفس سمات الأحاجي والألغاز التي يتوجب على المتلقي حلها بطريقة صحيحة ونزع اللبس عنها.

وفي الأخير نستطيع القول بأن الرمز حينما اكتسب صفة الغموض لم تكن هاته الصفة سلبية تنقص من قيمته، وإنما على العكس تماما فالرمز وباكتسابه صفة الغموض قد اكتسب صفة إيجابية وهي حث المتلقي على التفكير والتأمل واستنتاج الدلالات والإيحاءات لتظهر هنا ثقافة المتلقي وقراءته، وبالتالي نحصل على تعدد القراءات والاستنتاجات بتعدد القُراء وهذا ما يهدف إليه الرمز.

ثانيا: *أنـواع الرمـــز*

تعددت أنواع الرموز بتعدد وتنوع استخدامها من أديب إلى آخر ومن شاعر إلى آخر وهي تتفرع وتختلف باختلاف البيئة المكانية و الزمانية التي وجدت فيها، وباختلاف السياقات أيضا فنجد من أنواع الرموز

أ-الرمـــز الأسطـــوري

يقول بول ريكور Paul Ricoeur في حديثه عن نظام الرمز «إنه لمن الرائع أنه خلف كل لاهوت، وكل تأمل ، بل وخلف أي إنشاء أسطوري ، فإننا مازلنا نلتقي رموزا»[1].

وهذا يعني أن الرمز الأسطوري يستمد مادته من الأسطورة، والرمز الأسطوري نستطيع من خلالها إيصال فكرة عن الحياة التقليدية القديمة حينما تعجز الكلمات عن إيصالها.

ب-الرمـز التاريخـــي

ترى نسيمة بوصلاح في حديثها عن الرمز التاريخي«هو ذلك التوظيف الرمزي لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية معينة»[2].

ويأتي هذا التوظيف الرمزي التاريخي لإبراز تلك الأمجاد والبطولات سواء كان هذا التاريخ تاريخنا العربي الإسلامي أو التاريخ العالمي لأغراض فنية كانت أو حضارية.

---

[1]-بول ريكور :صراع التأويلات دراسات هيرومنطقية،تر :منذر عياشي،دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس،ليبيا،ط1، 2005، ص340.

[2]- نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، ط1، 2003، ص141.

ج-الرمــز الصوفـــي

تصف ماري شيمل Annemarei Schimmel التصوف Sufik بأنه «هو اللفظ المستخدم للروحانياتMystik في الإسلام، وهو أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها وهو إدراك للحقيقة المطلقة سواء سميت هذه الحقيقة"حكمة" أو "نور" أو"عشق" أو"عدم"»[1].

ويذهب الشاعر أو الكاتب أو الروائي إلى استلهام الرمز الصوفي في عمله الإبداعي إلى تجسيد جوهر الكون الذي مفاده البحث في مظاهر الجمال الإلهي والتأكد المطلق على وحدة الوجود.

الرمز الصوفي لا يخلو من مظاهر وصفات الطهر والقداسة لأنه يسمو إلى محبة الذات وللمحبة الإلهية ألفاظ خاصة بها، وهذه الألفاظ ليست محصورة في ديانة محددة بل على العكس إنها ألفاظ عالمية لاحدود لها تجري في مجرى واحد وتلتقي وإن اختلفت مجاريها في نهر وهو نهر المحبة الإلهية.

د- الرمــز الدينـــي

قد يكون الرمز الديني أحاديا بسيطا أو مركبا، فهو على العموم«كل رمز في القرآن الكريم أو في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يحمل دلالة معينة يدركها القارئ ويستحضرها حين تلقي النص»[2].

كتوظيف بعض الشعراء لقصص الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه وهذا للدلالة على حدث يتقاطع مع الحدث النبوي.

---

[1]-أنا ماري شيمل:الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف،تر:محمد اسماعيل السيد و رضا حامد قطب،منشورات الجمل، كولونيا،ألمانيا، ط1، 2006، ص7.

[2]- ناصر لوحيشي:الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، توزيع دار الطليعة،الجزائر،الجزائر،ط1، 2004، ص66.

هـ- *الرمــز الطبيعـــي*

تعد الطبيعة مصدرا هاما يستمد منه الشاعر مادته الإبداعية،فقد تواجدت الطبيعة بصورة مكثفة في عالم الشعر فالطبيعة هي نظام حركي متناقض الفضاءات فعندما يأخذ الشاعر رمزا من الطبيعة فهو يجسد لنا متناقضات العالم وتأويل الإنسان المعاصر، فالشاعر يستمد عددا من المفردات الطبيعية ويوظفها في لغته الشعرية،كالمطر والريح والأشجار والحيوانات[1].

وتعتبر هذه الأنواع الرمزية السالف ذكرها من أشهر وأهم الرموز استخداما والتي يكثر تداولها في النصوص الشعرية والنثري.

ثالثـــا: *سمـــات الرمـــز*

يمكن استخلاص سمات الرمز واستنتاجها من خلال تلك المفاهيم المتعددة التي يحظى بها الرمز، وهذه السمات هي التي تؤكد وتبرز هويته وإلا صار هذا الرمز عبارة عن إشارة أو علامة.

أ- *الإيحـائـيـة*

«وتعني أن للرمز الفني دلالات متعددة ولا يجوز أن يكون له دلالة واحدة فحسب»[2] فالإيحائية سمة واضحة من سمات الرمز، فهو يوحي ولا يفصح عنه وهذا ما يسمى بالرمز غير المباشر فهذا النوع قد يستعمله المبدع عندما لا يريد الإفصاح عن الرمز ومن سمته الإيحائية.

---

[1]- ينظر حامد صدقي وجمال نصاري: الطبيعة في شعر بدر شاكر السياب ونيما يوشيح، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، دمشق، سوريا،ع15،2013، ص21.

[2]- محمد كعوان: التأويل وخطاب الرمز، ص38.

ب- *الإنفعـاليـة*

وتعني الإنفعالية أن الرمز هو حامل إنفعال، لا حامل مقولة؛أي هو وليد حالة نفسية وهذا الإنفعال يؤدي بنا إلى استخلاص نتيجة بعينها دون أن يتجسد ذلك في مقولة ما.

ج- *التمثـيل*

ومعناه أن الرمز هو نتاج المجاز وليس نتاجا للحقيقة، وهذا يعني أن بعض الظواهر والأشياء قد يتناولها المبدع بشيء من المجاز لتخرج من سياقها الواقعي المحدود إلى اللامحدود.

د-*الإيجـــاز*

ومن سمات الرمز الرمز أيضا الاختصار إلى أقصى حد ممكن وهذا ما يجعله تسم بسمة التلغيز.

هـ- *الإتسـاع*

وهو ذلك الكلام الذي تكثر فيه وتتسع التأويلات باتساع واختلاف الثقافات والقراء.

و- *الإيهـام*

وهو الكلام الذي يحتمل أكثر من وجه واحد، وهو عند البلاغيين "إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين" وسماه السكاكي بالتوجيه[1].

ح- *التلغيـز*

وهو إضمار الكلام واللغز هو الكلام المُلَبس والتلغيز سمة أساسية أيضا في الرمز وإلا كان ذلك سببا في تحوله إلى إشارة دالة فحسب.

[1]- ينظر: محمد كعوان،التأويل وخطاب الرمز(المرجع السابق)، ص39.

ط- *السياقيــة*

السياق هنا هو المسؤول عن مجرى الرمز وتوجهه، فهو الذي يُحدد ويعدد دلالته.

ي- غير المباشرة في التعبير

أي الإحاطة بالموضوع وذكر سماته والإشارة إلى جوانبه دون ذكر الموضوع وتسميته بطريقة مباشرة[1].

رابعـــا: *كيفيــة تشكـل الرمــز*

«والرمز في أصله هو كيات حسي يثير في الذهن شيئا آخر غير محسوس»[2].

إن الرمز ينشأ ويخلق من الواقع ولكنه يتجاوز الواقع ليصبح شيئا لا واقعي لما يحمله من معان مجردة، وبالتالي فالرمز يتخطى الواقع المحسوس ليبدأ رحلته في عالم تجريدي مليء بالإيحاءات مشبع بالغموض.

وهناك من اعتبر أن الرمز «يتكون وينشأ من المجاز، أي أنه شكل متطور جدا من أشكال المجاز»[3].

وها رأي من الآراء التي طرحها النقاد في قضية تشكل الرمز وبدء تكونه، وقد طُرِح هذا الرأي لما رآه النقاد من تداخل واضح جمع بين المجاز والرمز في تعديهما للحقيقة والواقع وتجاوزهما إلى ما وراء الواقع.

ويعُد محمد فتوح أحمد «أبسط الرموز هو ذلك الذي ينشأ من خلال اتصال عواطفنا بمناظرها وأشياء مادية»[4].

---

[1]- ينظر: محمد كعوان، التأويل وخطاب الرمز (المرجع السابق)، ص39.

[2]- محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر،ط3، 1984 ص304.

[3]- نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص80.

[4]- محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص89.

معنى ذلك أن مصدر الرمز هو الواقع، كما أن له ارتباطا وثيقا بمؤثرات نفسية تساهم كذلك في تشكل الرمز وخلقه.

والرمز هو أشبه ما يكون بلحظة من النبوءة الشعرية ، فبواسطة هذه الرموز نسمو إلى ما وراء الواقع ونتحرر من قيد الواقع ونخترق جدار الحس والعقل فتصبح هذه اللحظة هي لحظة الاستقلال والتحرر من أي قيد مادي تتقيد به النفس[1].

وهذا يعني أن الرمز يبدأ في التشكل حينما تبدأ الروح في التحرر من قيود الجسد لتعبر الواقع إلى ما وراءه.

وهذا عندما تعجز اللغة عن التعبير على شيء معين وتصبح النفس تشعر بالضيق والضجر داخل هذا الجسد الذي يمثل أمامها جدارا وحاجزا يمنعها من العبور، ولأن هذا الجسد لم يُخرج ما بداخله من كلمات تعبر عما تحسه هذه الروح فهنا فقط يحدث ما يسمى بانفصال الروح عن الجسد وعبورها حدود اللامعقول لتستطيع أن تُعَبِر بدون قيود عما في داخلها، وهذا ما يحيلنا إلى إرجاع«كارل يونغ K.Young الرمز إلى اللاشعور الجمعي هذه الطبقة التي أضافها إلى طبقتي النشاط النفسي الشعور واللاشعور »[2].

فيونغ يرجع الرمز إلى جوانب لاشعورية من الطاقة النفسية، فاللاشعور عند يونغ هو مفهوم نلمس نتائجه ولا نحسه وهو مختلف تماما عن الشعور ومستقل عنه، فاللاشعور الجمعي عند يمثل طبقة أعمق من اللاشعور وأكثر تأملا في النفس منه.

فهذا هو منشأ الرمز عند يونغ فأي رمز هو نتيجة باعث نفسي.

---

[1]– ينظر: إيليا حاوي: الرمزية والسريالية في الشعر العربي والغربي، ص134.

[2]– نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص84.

كما نجد أن مفهوم الرمز «قد ارتبط بفلسفة الحلم التي اهتم بها الرومانسيون في البداية ومنحوها قيمة كبرى خاصة على يد الكاتب والفيلسوف الألماني هيردر Herder»[1]

فالحلم هو ذاك النشاط التفكيري وهو عبارة عن سلسلة من الصور والأفكار أو الانفعالات التي تتمثل للعقل أثناء النوم، هذه الأحلام التي اهتم بها الرومانسيون ومنحوها اهتماما بالغا في قضية تشكل الرمز.

[1]–ابراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ص339.

الـــفـــصل الأول: الرموز الإسلامية

أولا: الشخصيات

1- علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

2- عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

3- بلال بن رباح (رضي الله عنه)

4- أبو ذر الغفاري (رضي الله)

5- الحسين (رضي الله عنه)

6- صلاح الدين الأيوبي

7- طارق بن زياد

8- المعتصم بالله

ثانيا: الأحداث

1- حادثة نزول الوحي

2- حادثة الإسراء والمعراج

3- معركة حطين

ثالثا: الأمكنة

1- غار حراء وغار ثور

2- كربلاء

3- القدس

لقد اتكأ بعض الشراء المعاصرين على الدين في شعرهم، موظفين في ذلك لفظة تحسب على هذا النص الديني، أو رمزا يُنسب إليه أو حالة تجد مساحتها الخصبة فيه ومنه، وذلك للتعبير عن أزمة ما تعصف بمجتمعاتهم وبكيانهم[1].

ولقد كان الدين الإسلامي ولا يزال حقلا خصبا يستلهم منه الشعراء مادتهم اللغوية والجمالية والمضمونية أحيانا، وتختلف هذه الرموز باختلاف أنواعها وكذلك الداعي لاستحضارها دون غيرها، وطريقة استنطاقها والتعبير عنها وبعثها في صورة جديدة من ماضيها القديم للدلالة على واقع معاصر جديد.

وتكمن جمالية هذه الرموز في طريقة التعامل معها من قبل الشاعر، والمعنى الذي أدته وعلاقته بها.

والشاعر معين بسيسو كان له دور كبير في استحضار الرموز الإسلامية في شعره وهذا بسبب انتمائه وهويته الفلسطينية بالدرجة الأولى، وثقافته المنفتحة على الديانات السماوية بالدرجة الثانية، فأغلب الرموز التي استخدمها الشاعر في قصائده تُعبر عن واقعه المرير الذي عاشه بسبب الاحتلال الصهيوني الغاشم،فالرموز الدينية باختلاف دياناتها كانت ولازالت تخدم الشعر الفلسطيني.

ومن أكثر الرموز الإسلامية شيوعا في شعر معين بسيسو رموز الشخصيات فقد كان حضورها في جل قصائده قويا.

[1]– ينظر: كامل فرحان صالح، الشعر والدين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 2010، ص9.

أولا: *الشخصيات*

نوّع معين بسيسو في استحضار الشخصيات الإسلامية في شعره لما لها من أثر ووقع كبيرين في نفسيته ونفسية المتلقي على السواء، هذه الشخصيات هي بمثابة الكلمات المفتاحية التي استطاع من خلالها التعبير عن حالته وحالة مجتمعه الفلسطيني المناضل، ومن أبرز الشخصيات الإسلامية التي وظفها

1- علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه)

هو الصحابي علي بن أبي طالب الهاشمي، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم و، وهو رابع الخلفاء الراشدين[1].

استحضر معين بسيسو شخصية الإمام علي رضي الله عنه في قصيدة (قصيدة من فصل واحد) في قوله:

المنظر الأول

الجوقة: كان يُصَلِّي دائما خلف «علي»
ويسألُ الطعامَ مِن يدَيْ «معاويهْ»
خلفَ –عليٍ– الصلاة مُجزِيهْ
صَلُّوا وراءهُ وبعدَها،
خُذوا الطعامَ والشرابَ من يدَي معاويهْ[2]

لقد أخذت القصيدة شكل الشعر المسرحي، وهذا واضح من خلال عنوان القصيدة"قصيدة من فصل واحد" فالفصول عادة تكون في المسرحيات، و(المنظر الأول) هو عبارة دالة على وجود مشاهدين أو متفرجين، إضافة إلى هذا فقد كان دور الجوقة هو

[1]– ينظر: عبد الحكيم الكعبي،عصر الخلفاء الراشدين، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2012، ص207.

[2]– معين بسيسو: الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص331.

أول الأدوار وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشاعر هنا يشير إلى المأساة أو التراجيديا، تراجيديا الإمام علي، فهو البطل النبيل في هذه المسرحية.

دائما ما نجد اسم الإمام "علي" يقترن بذكر اسم"معاوية" فمعاوية هو أمير المؤمنين بعد علي، فالشاعر هنا اتخذ هذين الرمزين للدلالة على أمرين هما أن عليا–رضي الله عنه– رمزا للقوة والمقاومة ورمزا للشعب الفلسطيني بقوته وضعفه، ورمزا للذي كان يُصلب خلف الإمام علي–رضي الله عنه– بالمنافق والخائن لأنه وبعد كل صلاة يذهب ويطلب الطعام من يدي معاوية، فعلي هنا ليس عليا ومعاوية ليس معاوية، وإنما رمز الشاعر لهذا الظلم والاعتداء من طرف الكيان الصهيوني بما كان يفعله معاوية–رضي الله عنه– أيام الإمام علي، وشبه المنافقين أيام علي ومعاوية– رضي الله عنهما– بالدول العربية المتواطئة مع الاحتلال المرتشية على حساب دولة فلسطين وشعبها.

2– ***عثمان بن عفان–رضي الله عنه–***

«هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي»[1]، الشاعر يستدعي ويستحضر هذه الشخصية العظيمة ويوظفها توظيفين، مرة توظيفا إيجابيا ومرة أخرى توظيفا سلبيا، فقد وظفه توظيفا إيجابيا حينما قال في قصيدة (من أوراق أبي ذر الغفاري):

ولم يزلْ عثمان ،

يداهُ تَقطِعان أرض الله ،

وهو خاشع يرتِّلُ القرآنْ[2]

[1]–عبد الحكيم الكعبي: عصر الخلفاء الراشدين، ص167.

[2]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص260.

فالشاعر هنا يرى عثمان بن عفان–رضي الله عنه– ذاك الرجل المقاوم، العظيم، المؤمن الذي سوف يقلب الأوضاع من الأسوء إلى الأحسن، وعلى يده ستكون نصرة المظلومين وليس بقوته فقط بل بأخلاقه التي يُشهد له بها.

فمن صفات المقاومة والجهاد في سبيل الله أن يحمل القرآن والسلاح معا، فيد المقاومة مازالت تظهر أرض فلسطين من رجس الصهاينة باحثة عن الحرية والاستقلال الأبدي، تجاهد في سبيل الله أرض الأنبياء من أعداء الله.

وفي مقطع آخر من نفس القصيدة نجد أن الشاعر قد اتخذ رمز عثمان بن عفان – رضي الله– رمزا سلبيا وهذا يتجلى في قوله:

لِمَن ثِمارُ هذه السيوف
قاتَلَتُ في البحارِ والقِفارْ
وساقَتْ الرياحُ والرّماحُ للخليفةِ القَعِيدِ
ألفَ مَركَبٍ وهَودَج مَن الذهب
وصار للولاةِ، ألف قِينَةٍ
وألف قَصْرْ ،
وألف بِئر خمرْ .
وألف فَمْ...

فعثمان بن عفان–رضي الله عنه– وصفة بالخليفة القعيد، ففي أيامه كان يتبع سياسة التساهل واللين على عكس أيام الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فكان في أيامه انطلاق«كبار الصحابة والتابعين إلى الأمصار الإسلامية ومشاركتهم في إنشاء ارستقراطية دينية فقد أثروا ثراء فاحشا وابتنوا القصور، ووزعوا الأراضي والخطط، بينما كانت هناك طبقة فقيرة معدمة من المحاربين استقرت في الأمصار بعد الفتح»[1].

[1]– عبد الحكيم الكعبي: عصر الخلفاء الراشدين، ص195.

وهذا يدل على أن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- كان في غاية الجود والكرم مما أدى إلى انتشار حياة الترف بين الصحابة والتابعين في حين أنه كان هناك فئة أخرى هي فئة المحاربين تعيش حياة الفقر والعدم، وهذا يدل على حياة الشعب الفلسطيني، وعلى حالة القدس الفقيرة أمام ثراء الدول العربية الفاحش، فهم يسكنون القصور ويأكلون ما لذ وطاب ويلبسون أجمل الثياب ويفترشون الحرير، وبالمقابل هناك شعب مقاوم فقير معدم لا يملك القوت بينما هناك كنوز وقصور توزع على الملوك والولاة.

ولعل هذا السبب هو السبب الأول الذي أدى إلى قيام الفتنة أيام عثمان بن عفان- رضي الله عنه- وهذا سبب أيضا لقيام الفتن في أرض القدس بين مختلف الأحزاب وهذا ما شغلهم عن القضية الفلسطينية، القضية الأساس التي يجب الالتفاف حولها لا الانشغال بالأموال والقصور عنها.

وهذا ما زاد الأمر سوءا أمام مواجهة الكيان الصهيوني بحيث صارت فلسطين وحيدة وصارت فريسة سهلة بين أنياب الذئاب.

3- *بلال بن رباح-رضي الله عنه-*

هو مؤذن الرسول-صلى الله عليه وسلم- أبوه يدعى رباحا وأمه تدعى حمامة، وكان عبدا عند أمية بن خلف وأتفقت الأقوال أن أبا بكر الصديق-رضي الله عنه- هو الذي أنقذه من يدي أمية بعد ما لاقى من العذاب لدخوله الإسلام، وبعد ذلك صار بلال مؤذنا للمسلمين[1].

«وقد أذن بلال بن رباح الحبشي-رضي الله عنه- لأول مرة في المسجد الأقصى المبارك بعد وفاة الرسول-صلى الله عليه وسلم-»[2].

[1]- ينظر:عباس محمود العقاد، داعي السماء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،(د ط)،2012، ص49.

[2]- المرجع نفسه: ص ن

فالشاعر معين بسيسو يربط شخصية بلال بن رباح بقدسية المسجد وبصوت الشعب الفلسطيني الذي لا يزال يُسمع في أرجاء هذا الكون، ففي قصيدته "من أوراق أبي ذر الغفاري" يقول:

السيف ليسَ مثلما تُصورِونَ والكتابْ
يا أيها الذهابْ ،
قسمْتمُ الأسلابْ
فللمهاجرينَ حفنةٌ من الزقّومِ ،

جرعةٌ من الغِسلينِ للأنصارْ ،
بلالُ لم يزلْ مؤذّناً
في ثُقبِ إبرةٍ، بلالْ[1]

هاهو ذا الشاعر يتكلم من جديد عن حقيقة السيف والكتاب؛القرآن الكريم، فالسيف والقرآن الكريم قد استُعملا استعمالا خاطئا، فالشاعر هنا يتهجم على من لا يحسنون استخدام السيف والذين لا يمشون وفق تعاليم القرآن الكريم عن المتعصبين لآرائهم وأفكارهم وعواطفهم فقط، ولعله هنا يشير إلى معاوية- رضي الله عنه- ويعود إلى قضية تقسيم الغنائم بين معاوية أنصاره في حين لا شيء للمهاجرين والأنصار سوى الزقوم و الغسلين.

لكن يجد الشاعر أملا في بلال بن رباح، فصوت بلال بن رباح-رضي الله عنه- هو صوت الحق الذي لا يموت، وكذا صوت الآذان هو صوت الحق وكلمات الله على الأرض وهو دعوة المسلمين للجهاد كما هو دعوة للصلاة، إضافة إلى هذا فقد استخدم الشاعر رمزية بلال وهو يؤذن في ثقب إبرة، إنما أراد أن يدل على الحصار والضيق الذي تعيشه فلسطين وسط الذئاب والقهر.

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص260.

لكن رغم كل هذه الظروف وإن تعذر الآذان من المئذنة فما زال هناك أذان في ثقب إبرة وهو بمثابة الجهاد والمقاومة رغم الظروف الصعبة والحصار الذي تعاني منه فلسطين، وقد رمز الشاعر للضيق والحصار بثقب الإبرة وللآذان بصوت الحق والدعوة إلى الجهاد، وبهذا يبقى الصوت يُسمع وحاضرا بقوة.

وقد كانت لغة الشاعر هنا لغة تتسم بالوعيد والتحذير، فرغم كل الآلام وكل الويلات التي تعيشها أرض الشاعر، هناك من يُرسل صوته إلى العالم كله وهناك من سيلبي النداء ولو بعد حين.

4- *أبو ذر الغفـاري- رضي الله عنه-*

من صحابة الرسول –صلى الله عليه وسلم- وهو من الخمسة الأوائل الذين آمنوا بالإسلام، وكان أول الطائفين حول الكعبة، وقد جند قبيلة بأكملها وقبض على عقيدته بإيمان الرجال العظام[1].

تُعد شخصية أبي ذر الغفاري من أبرز الشخصيات التي تناولها الشاعر أثناء التعبير عن قضية الوطن المسلوب، فأبو ذر الغفاري–رضي الله عنه- هو رمز للمنفيين و رمز للمُهَجَّرين، كم أنه رمز للوقوف في وجه الظالم والمغتصب، يقول الشاعر في قصيدة (من أوراق أبي ذر الغفاري):

وسار وحده ومات وحده وعادْ
يصيح مِتُّ لم تزلْ،
بقيَّة مِن الكلامِ في فَمِي
نُفيتُ مَرتَيْنْ، مَرةً هنا
ومَرةً هناك في الحديقةِ المعلَّقة
بَلَوْتُها، سَئِمْتُها ،

[1]–ينظر: عز الدين اسماعيل وآخرون، أبو ذر الغفاري،دار العودة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1985، ص 13.

ضَجِرتُ مِنْ وِلْدانِها المُخَلَّدين
حورَها المزوقهْ
وخَمرِها المُعَتَّقهْ
وعُدْتُ يا معاويهْ أُلقي بِشَعرةِ الذئاب ،
في مغازل العناكب المُشَردهْ[1]

اقتبس الشاعر الأسطر الأولى من شعره من قوله صلى الله عليه وسلم في أبي ذر «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعَث وحده»[2]، فهذه الشخصية قد لاقت من البلاء ما لاقت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حينما قال له«يا أبا ذر إنك رجل صالح، وسيصيبك بلاء بعدي»[3].

وقد تقمص معين بسيسو شخصية أبا ذر لاشتراكهما في البلاء، وفي بعثه من جديد ليُجَدِّدَ وقوفه في وجه الظلم، فمعين بسيسو هو أبا ذر الذي بُعِثَ من جديد لكي يقول بقية من الكلام الذي لم يكمله«فقد كان صوت أبي ذر يرتفع في المسجد وهو يرى ذوي القربى يستولوا على كل شيء»[4] فقد كان صوته يرتفع بقوله تعالى«وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»[5].

وكان هذا أيام تولي عثمان بن عفان–رضي الله عنه– الخلافة فبدأت أصوات الناس ترتفع فالذي يُحدِّثُهم ليس رجلا عاديا أنما هو صحابي أبا ذر الغفاري– رضي الله عنه– «فاستدعاه عثمان بن عفان–رضي الله عنه– ودار بينهما حوار ساخن ثم صاح عثمان بن عفان: أخرج...أخرج إلى الشام»[6]، فخرج أبو ذر وكان هذا أول نفي سياسي في

[1]–معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص259– 260

[2]–علي محمد الصلابي:السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث،دار المعرفة،بيروت،لبنان، ط7، 2008، ص 818.

[3]–عز الدين اسماعيل وآخرون: أبو ذر الغفاري، ص83.

[4]– المرجع نفسه : ص ن.

[5]– سورة التوبة: الآية 34.

[6]– عز الدين اسماعيل وآخرون: أبو ذر الغفاري، ص104.

الإسلام،فهذا هو النفي الأول الذي تحدث عنه الشاعر، فأبو ذر والشاعر قد نُفيا سويا ولكن يختلف النافي، فأبو ذر نفاه عثمان بن عفان- رضي الله عنه- والشعر نُفي من طرف الاحتلال الصهيوني، أما النفي الثاني لأبي ذر كان مختلفا عن النفي الثاني للشاعر.

فأبو ذر قد قام بمواجهة معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه- فقام معاوية بإرجاعه إلى مكة ليقف مجددا بين يدي عثمان بن عفان، فقام الخليفة عثمان بن عفان بنفي أبا ذر للمرة الثانية وبعثه إلى الربذة[1].

أما الشاعر فقد نفي للمرة الثانية إلى الجنة، فشتان بين الربذة والجنة، «والربذة هي عبارة عن صحراء قاحلة تحيط بها الكثبان»[2]، أما الجنة فهي غنية عن الوصف لأن الولدان المخلدين والحور مكانهم الجنة فقط، أما البشر العاديين فمكانهم الحياة الدنيا فقط.

فالشاعر قد سئم من الحياة المثالية في الجنة مع حورها المزوقة، لأن شخصية أبا ذر لا تستطيع العيش في مكان طاهر ونقي، لذا سئم الشاعر ذاك المكان النقي الطاهر، فدور أبي ذر هو العيش في محيط لا يخلو من الذنوب والمعاصي والعيوب، هنا يكمن دور أبي ذر الغفاري في الدعوة إلى الصلح والتغيير والثورة ضد هذه المفاسد الإنسانية.

وتكمن الدلالة هنا في المساواة بين حياة"أبو ذر الغفاري"وحياة معين بسيسو وإخوانه الفلسطينيين في ثورتهم ضد الظلم والاستبداد، فالشعب الفلسطيني يجاهد وحيدا كما كان أبو ذر يقاوم الظلم وحيدا، وكذا في قضية النفي إلا أن الزمن فقط هو نقطة الاختلاف في الزمن، فزمن أبي ذر هو زمن عثمان ومعاوية، وزمن الشاعر هو زمن الاحتلال الصهيوني.

وفي الأسطر الأخيرة من القصيدة نجد الشاعر يتحدث على لسان أبي ذر وهو يقول:

---

[1]- ينظر:عز الدين اسماعيل وآخرون، أبو ذر الغفاري(المرجع السابق)، ص103.

[2]- المرجع نفسه: ص 104.

وعُدتُ يا معاويهْ
ألقي بشعرةِ الذئابِ ،
في مغازلِ العناكبِ المشردهْ[1]

فهو يؤكد على عودته وغضبه ويتحول غضب أبا ذر الغفاري وغضب معين بسيسو إلى نداء ودعوة إلى الثورة والتغيير وأنهما يلقيان بشعرة معاوية في مغازل العناكب المشردة؛ أي أنه يُلقي بسياسة معاوية التي كانت مساوية في نظر الشاعر للسياسة المحتلة في بيوت المشردين الوهنة.

5- الحسين-رضي الله عنه-

هو حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الهاشمي القرشي، وابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه وريحانته من الدنيا، المُكنى بأبي عبد الله[2].

تحضُر هذه الشخصية التاريخية الإسلامية في قصيدة(القمر ذو الوجوه السبعة)، «فالحسين بن علي يأخذ موقعا متميزا في مسيرة الشهادة من وجهتي النظر التاريخية والفنية»[3] فأصبح اسم الحسين مقترنا برمزية الغضب والحزن والشهادة في أعلى أبعادها الدينية بل وصار رمزا لخذلان الثائر العظيم من مؤيديه مما أدى إلى الوقوع في مأساة مماثلة لمأساة كربلاء في فلسطين الجريحة التي تُقدم العشرات من الشهداء يوميا، فها هو الشاعر يُعبر عن هذا الواقع المرير بهذه الأسطر من قصيدة القمر ذو الوجوه السبعة:

تموتُ في الخريفِ مرَّةً
وفي الربيع مرَّتينْ
يستيقظُ الشتاءُ في غصونِها

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 260.

[2]- ينظر: محمد بن عبد الهادي الشيباني ومحمد حالم خضر: القول السديد في سيرة الحسين الشهيد مبرة الآمال والأصحاب، الكويت، الكويت، ط1، 2010، ص19.

[3]- خالد الكركي:الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، مكتبة الرائد العلمية ،عمان، الأردن، ط1، 1989، ص183.

ويأكلُ اليدينْ
رأيتُهُ في كربَلاءَ ،
تحت راية الحسينْ
صهيلُ سيفهُ مع الحسينْ
وفوقَ سيفِهِ قصيدةٌ منقوشةٌ
في مدحِ قاتلِ الحسينْ[1]

صور الشاعر في هذه الأسطر شخصية الحسين كرمز لشعب فاقد الحرية والعدالة، فكما دخلت«كربلاء الملحمة الإلهية وجد أن الأمة وتاريخ الإنسانية»[2] بشهادة الحسين– رضي الله عنه– كذلك كان الأمر نفسه للأرض المقدس، فالشاعر يعتبر الفاجعة واحدة والمأساة واحدة.

والحسين هو صورة القضية الفلسطينية بكل معانيها، كما نجد دلالة أخرى أشار إليها الشاعر عندما قال:

صهيلُ سيفه معَ الحسينْ
وفوقَ سيفِهِ قصيدةٌ منقوشةٌ
في مدحِ قاتلِ الحسينْ[3]

وهي النفاق والخداع والخيانة والكذب، فقد شبه الشاعر هنا الشعراء بالمقاتلين، فالشعراء هم من يحملون الأقلام، والمقاتلين تكون كذلك من طرف الشعراء للقضية الفلسطينية، إنها تكمن في تحريرهم قصائد يعالجون فيها قضايا ومشاكل العصر، فظاهر وأقلامهم مع القضية الفلسطينية لكن حبر أقلامهم ليس كذلك.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على بيع الضمير الإنساني، وفقدان المصداقية، ويُعد هذا السلوك غير حضاري في الكتابات الشعرية وهذا ما أدى إلى«تعفن العلاقات والسلوك وتناقض الظاهر والباطن، وأدى إلى تَخَمُّر ذات الشاعر في عصر الشعر

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية، ص295.
[2]– ابراهيم أحمد الميلاد: على خطى كربلاء، دار المؤمل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص21.
[3]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص295.

وإحساسه بالانكسار والهزيمة»[1] لأن ما بداخله لا يصنع ما بخارجه، وبالتالي لا يوجد تماثل وتساوٍ بين النية والعمل، وهذا ما يُسمى بالكذب في الحديث وبالخلف بالوعد وبالخيانة في الأمانة، وما إلى ذلك من سمات النفاق في إيصال في إيصال صوت الحق وإيقاظ الضمير حول معالجة قضية ما وما بالك بالقضية الفلسطينية.

فالشاعر هنا يتهم الشعراء بعدم إظهار الحقيقة لحظة الكتابة والتي تُعتَبر عند البعض منهم أصدق اللحظات، فهي لحظة الاستلهام«وهذا ما جعل الشاعر ينظر للكتابة على أنها حل استشرافي يحلق به في فضاء اليوتوبيا وسحرها بدلا من الاحتضار البطيء، إن تَمَرُّد الكلمة وصراحتها الشريفة هي العوض عن الهزيمة والإحتضار »[2]

فالكلمة الشريفة والموقف الواحد والصادق ينقذان الشاعر من الوقوع في الاحتضار البطيء والهزيمة اللذان هما بمثابة موت الضمير وبالتالي موت الحق ، وهما اللذان يقويان شوكة الكلمة ويجعلان منها جدارا صامدا في وجه الأعداء وليس العكس، فحادثة كربلاء وشخصية الحسين والمقاتلون والمنافقون قد مثلوا تراجيديا بيت المقدس كما مثلوا كما مثلوا من قبل تراجيديا الحسين رضي الله عنه

إلى جانب هذه الدلالة يشير الشاعر إلى قضية أخرى«تَفرُّد أصحاب الدعوات الكبرى ووحدتهم وسلبية الجماهير إزاءهم وإزاء دعواتهم، لأن القضايا الجليلة لا يقوى على حملها إلا المجاهدين الكبار »[3] .

فمثل هذه القضايا الكبرى لها شأن عظيم لا يستوي في صفها إلا أصحاب الرأي السديد الذين يوقعون في آخر قصائدهم بأقلام حبرها دماء الحق.

---

[1]– يوسف نوفل: تجليات الخطاب الأدبي، دار الشروق،القاهرة، مصر، ط1، 1968، ص116.

[2]– المرجع نفسه: ص ن.

[3]–علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،دار الفكر العربي، القاهرة،مصر،(دط)، 1997، ص123.

6- صلاح الديـن الأيوبـــي

تُعد شخصية صلاح الدين الأيوبي من أعظم الشخصيات في تاريخ الفتح الإسلامي، ينتمي صلاح الدين إلى عائلة كردية كريمة الأصل، عظيمة الشرف فقد قضى على الدولة الفاطمية أولا ثم بدأ مشواره في محاربة الصليبيين في أرض المقدس[1]

لقد كان لشخصية صلاح الدين الأيوبي حظورا قويا في شعر معين بسيسو، وذلك بتوظيفه كشخصية عظيمة لاقت من التدنيس في عصر الخذلان العربي، فبعد كل ما قدمه من جهود في القضاء على الصليبيين وتحرير بيت المقدس، أصبح في زمن الشاعر يباع في قبره بأقل وأزهد الأثمان ففي قصيدة (إلى سائحة) يقول معين بسيسو:

معذرةً سيدتي إنْ جئتِ إلينا في يومٍ
تُقطعُ فيه أيدي الشعراءْ
ماذا في الشرقِ يُباعْ ؟
بْعنا لعجوزٍ سائحةِ قبلَكِ قبرَ صلاحِ الدينْ
وحِطّينْ
وحدائقَ بابلَ بْعناها في أسواقِ العالمْ
أزهارًا أو براعمْ[2]

الشاعر هنا يتأسف لحال وطنه، ويحس بالخذلان اتجاه الواقع العربي وإهماله وتَنَصُّلِه من القضية الفلسطينية التي هي قضية عربية إسلامية بالدرجة الأولى، فالأمة العربية قد باعت قبر صلاح الدين وهو الهوية بمعنى الكلمة وهو الذاكرة، ذاكرة الأمة العربية الإسلامية، لقد بيعت هذه الذاكرة في الأسواق العالمية و أصبح الوطن العربي ضائعا تائها بلا هوية، بلا ماض، وحاضره ومستقبله مجهولان ، والأسواق العالمية هي تلك

[1]- ينظر: علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص223.
[2]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص340.

المؤتمرات الدولية التي تُعقَد ليتم فيها بيع الهوية الإسلامية والقضية الفلسطينية فقد رمز إليها الشاعر بالأسواق لأنها مكان للبيع والشراء.

والمقصود بقبر صلاح الدين هو الوطن والشرف كما أشرنا سابقا، لقد باعوه بثمن بخس لعجوز، والعجوز رمز للضعف، فهم باعوا رمزا للقوة والبطولة واسترخصوا ثمنه لعجوز ومن هذه العجوز؟ هي عجوز سائحة من وطن إلى آخر، لا تملك لا وطنا ولا هوية، فقد بيعت الهوية لمن لا هوية له تحت صمت عربي رهيب في زمن أطلق عليه الشاعر عليه زمن الصمت.

فالشاعر«يميل إلى محاكمة الحاضر وفضح أساليبه»[1] فهو لا يدين الماضي، بل على العكس؛ فالماضي كان تاريخا حافلا بالبطولات وإنما يدين«"تعهر" الماضي بين يدي السادة في الحاضر»[2] كما ذهب إلى ذلك إحسان عباس.

فاستدعى الشاعر قبر صلاح الدين وفضح الواقع العربي المعاصر في قضية بيعه والتخلي عن شرفه وكرامته ووطنه مقابل ثمن بخس، كما أنه فقد هذا الزمان الذي تُقطع فيه أيدي الشعراء تلك الأيدي التي تدافع عن الحق وتقف في وجه الظلم، وكأنها أيادي سارقة، فالسارق هو من يجب أن تُقطع يده وليس الشاعر، ولأن الشاعر يكتب بيده القصائد في هذه القضية يقومون بقطعها لإسكات صوت الحق، وكأن الكلمات تخرج من أيديهم وليس من أفواههم وهذا يدل على أن فلسطين مقهورة مسلوبة ومازالت حديث الشعراء.

ويصور الشاعر صورة فلسطين في أصعب مراحل الألم يقول في قصيدة(الرصاصة) الأولى:

---

[1]– إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،الكويت،(دط)، 1998، ص115.

[2]– المرجع نفسه: ص ن.

مازالَ هناكَ في الكرمِ عناقيدُ
ستُعصرُ باسم فلسطينْ
مازالَ هنالكَ فوقَ حبال الشعراءِ
قصائدُ تتدلّى ترشحُ باسم فلسطينْ
مازالَ هنالكَ فوقَ السندانِ
حديدٌ يُطرقُ .
خوذاتٌ، حدواتٌ ، «أوسمةٌ ونياشينْ»...
مازالَ هنالكَ في الثلاجةِ
لحمُ «صلاح الدين»[1]

أي مازال هناك دماء ومجازر ستقترف في حق فلسطين وفي حق وفي حق الشعب الفلسطيني، فطرق الحديد وصنع الخوذات والحدوات والأوسمة والنياشين وما إلى ذلك من أدوات الحرب، يشير إلى الاستمرار في الاستعمار والجرائم، ورغم هذا كله ما يزال لحم صلاح الدين في الثلاجة، لقد استخدم الشاعر هذه العبارة للدلالة على الصمت والانتظار وبرود الأمة العربية تجاه القضية الفلسطينية، فصلاح الدين الرجل الفذ الشجاع قد قُطِّع ووُضِع في الثلاجة، وهذا دليل على سكوت وتنصل العرب من القضية الفلسطينية فالمقصود ليس صلاح الدين وإنما أحفاد صلاح الدين.

6- *طـارق بن زيـــاد*

إنه طارق بن زياد أحد أهم رموز البطولة في التاريخ الإسلامي، إنه طارق بن زياد النفراوي البربري من افريقيا[2]، كانت شخصية طارق بن زياد حاضرة في أعمال معين بسيسو وخاصة في قصيدة (قصيدة من فصل واحد):

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص401.

[2]-ينظر محمد شيت خطاب:قادة فتح الأندلس، منار للشرق والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، مج1، 2003، ص216.

المنظر الثاني

الشاعر على الربابة:

«طارقُ» في الزنزانهْ
«طارقُ» فتحَ الأندلسَ
وفتحَ خَليفتُنا الزنزانهْ[1]

فطارق بن زياد، ذاك البطل فاتح الأندلس أصبح في قصائد الشاعر أصبح في قصائد الشاعر يقبع داخل الزنزانة، وطارق ما هو إلا رمز للقائد البطل الذي صنع النصر في زمانه واسترجع الهوية العربية، وبدخوله السجن وحبسه حُبِست معه كل بطولاته وانجازاته التي قام بها، فالهوية العربية أصبحت سجينة مقيدة داخل زنزانته، والقادة والسادة العرب هم من تسببوا في سجن البطولات وسجن الماضي وكل انجازات الأبطال والتواطؤ مع الكيان الصهيوني.

وهاهو الشاعر يعبر عن تلك المأساة التي يمر بها الشعب الفلسطيني في ظل تمرد الأمراء والرؤساء العرب، حيث يقوم معين معين بسيسو بمقارنة بين زمن مضى وزمن حاضر، حيث كان البطل طارق بن زياد هو من يضع المذنب في الزنزانة خلف، القضبان ولكن في زماننا الآن أصبح الفارس المغوار هو سجين الحاضر، وهذا ما جعل الشاعر يتغنى بألحان حزينة من عزف الربابة على حال طارق بن زياد ومآسيه وأحزانه.

7- المعتصم بالله

من عظماء التاريخ وهو العربي والإسلامي أبو إسحاق محمد بن الرشيد الملقب بالمعتصم، من أعظم الخلفاء وأهيبهم،وهو صاحب غزوة الروم وفتح عمورية[2].

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص331- 332.

[2]- ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، مركز دار المناهج للدراسات والتحقيق العلمي، بيروت، لبنان، ط2، 2013، ص520.

يستدعي معين بسيسو شخصية المعتصم بالله بن هارون الرشيد في قصيدته(الرصاصة الأولى):

«سيرك فلسطين» سَيُفتَتَحُ الليلهْ...
هاتوا مربوطاً بالأغلالِ–المعتصمَ–
وهاتوا في قفصٍ–خالدْ–
هاتوا ملفوفاً في«النطعِ المُتنبي»
محمولاً فوقَ بيارقهِ–سيفَ الدولة...
–سيرك فلسطين– سيُفتتحُ الليلهْ...[1]

لقد مزج الشاعر هنا بين شخصيات التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي باستحضاره شخصية المعتصم وخالد والمتنبي وسيف الدولة وجعلهم جزءا لا يتجزأ من السيرك، فالسيرك هنا هو المكان الذي يرتاده الجماهير للترويح عن النفس لما فيه من مشاهد مسلية، إضافة إلى هذا فقد جعل الشاعر أبطال الأمة العربية الإسلامية جزءا من هذا السيرك، بحيث ربط المعتصم بالأغلال وسجن خالد في القفص ولف في النطع وحمل فوق بيارقه سيف الدولة.

لقد جعل هؤلاء الأبطال مكان الحيوانات المفترسة السجينة والمقيدة، وهذا يدل على ما آل إليه حال الأمة العربية من ذل وهوان وأصبح أبطالها عنوانا للتسلية والشجاعة المقيدة السجينة.

فقد كانت هذه الشخصيات في الماضي تحمل صفة الحيوانات المفترسة في الشجاعة والهيبة وتزأر وتكشر عن أنيابها في وجه كل عدو تُسَوِّل له نفسه بالهتك بعرض الأمة العربية الإسلامية، أما الآن فهي سجينة مقيدة رمزا للفرجة في سيرك فلسطين على أمل أن تتحرر يوما من تلك القيود وتحرر فلسطين«وهذه الأشخاص في الغالب تُعَبِّر عن

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 400.

أبعاد فكرية وشعورية متصارعة من أبعاد رؤية الشاعر أكثر مما تعبر عن أحداث درامية تتطور وتنمو »[1].

والشاعر هنا يجسد ويعبر عما يحس به ويراه على أرض الواقع، ولقد راح يعبر عن فلسطين وما يحصل فيها كأنه مشهد من سيرك والمتفرجون هم سادة الدول العربية بواسطة استخدام هذه الرموز الدينية التراثية فهو «يعكس التفاعل والحوار بين الدلالة التراثية أو الواقعية للرمز وبين دلالته الرمزية »[2]. فهذه الرموز ماهي إلا دلالات تعبر عن الواقع الدرامي والمرير على أرض فلسطين.

ويقول في القصيدة نفسها:

... وانفجرتْ–قُبعة الحاوي– في تلكَ الليلهْ
لم يبقَ هنالكَ في السيركِ مشاهدْ...
هربَ– المعتصمُ– وأمسكَ بضفائرِ غزّة– – خالدْ–...
واختلطَ الحابلُ بالنابلْ...[3]

نجد هنا في هذه الأسطر صورة لمفارقة أليمة، فالشاعر لم يُصرح بالملامح التراثية لشخصية المعتصم وخالد بن الوليد التي تدور كلها حول معاني البطولة والقوة والجهاد والانتصار ولكنه أسقط عليهما الواقع العربي المهزوم، ذلك الواقع الذي تحولت فيه كل سمات الشجاعة والصمود إلى رموز ضعف وتحلل وانهيار[4].

هكذا كان استدعاء معين بسيسو لهذه الشخصيات التراثية ذات البعد الديني الإسلامي حاملة لمعاني البطولة والمقاومة والجهاد في سبيل الله، رايتها راية الحق التي لا تسقط أبدا، وكانت هذه الشخصيات ذات دلالة معبرة عن حال الأمة العربية الإسلامية وموقفها

[1]– علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، مصر ،ط4، 2002، ص194.
[2]– المرجع نفسه، ص193.
[3]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص400.
[4]– ينظر علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص140–141.

تجاه القضية الفلسطينية وصمتها في ظل الظلم والعدوان الذي يُمارس كل يوم في أرض المقدس المباركة، فهو يصور لنا حقيقة الوضع السائد من خلال استحضاره لرموز هذه الشخصيات وإضفائه عليها بعدا دلاليا يوحي بحقيقة هذا الواقع الأليم.

ثانيـا: الأحـداث

إن دراسة الأحداث التاريخية الإسلامية ليست ببعيدة عن تراث العرب المسلمين أو غيرهم من أصحاب الديانات السماوية في الشعر والنثر، فغالبا ما ستشهد بها الشعراء لتوكيد صحة الحدث أو الكشف عن جوانب عن جوانب خفية بوصف الشعر العربي سجلا لمآثر العرب، فهو جزء لا يتجزأ من الكيان الإنساني الذي ينمو ويغرس آثاره وأحاسيسه في كل جانب من جوانب حياته ورافدا من روافد ثقافته وخبرته[1].

وقد شكلت الأحداث في الشعر العربي المعاصر مادة رئيسة في قراءة الماضي وكشف أبعاده الحضارية من جهة، وبلورة أحداث العصر الراهن ضمن الأحداث الماضية وذلك للتعبير عن أحاسيس الشاعر التي أثرت فيه وكانت سببا وجيها في استدعائه مثل هذه الأحداث، فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ من الاستشهاد بالشعر،وموقف لشاعر أو رجز انطلق من حرارة الأحداث فأسهم في تدوينها[2].

وقد استحضر معين بسيسو بعض الأحداث وذلك لتوليد الطاقة الإيحائية من خلال توظيفه بعض القصص القرآنية أو قصص التاريخ الإسلامي، محاولة منه إسقاط تلك الأحداث على واقعه المعيش وإظهار الفرق بين العصر الماضي والعصر الراهن–عصر الشاعر– فمن بعض الأحداث التي التي كانت محل اهتمام الشاعر نذكر مايلي:

---

[1]– ينظر: قيس كاظم الجنابي،أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص09.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص09–10.

1- *حادثــة نزول الوحــي*

إنها حادثة ضخمة بحقيقتها وضخمة بآثارها وبدلالتها في حياة البشرية جميعا، فهي خارقة للسنن والقوانين الطبيعية، حيث تلقى النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله بواسطة الملك جبريل عليه السلام، وأول آية نزلت من القرآن الكريم كانت﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِكَ الذِي خَلَقْ(1)خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ(2)إِقْرَأْ وَرَبُكَ الأَكْرَمُ(3)﴾[1].

حتى دخل على خديجة فقال:«زملوني زملوني» وفي رواية أخرى «دثروني دثروني» فزمَّلوه حتى ذهب عنه عنه الروع، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحس بالآلام والحمى أثناء نزول الوحي[2]

ولقد كان لهذه الحادثة العظيمة نصيب في قصائد معين بسيسو، وقد أشار إليها في قصيدة(كلاكيت أول مرة من فيلم قرص أسبرين):

وظهرتْ بعدِ تلك القبلةِ الرموزُ والعلامهْ
وترجمانُ آخرٌ قدْ قال: إنها الحمّى التي تصيبهُ
من زمنٍ إلى زمنْ...
وكلما انكوت بسيخ نار جبهة الوطن...
وترجمانٌ ثالثٌ قد قال: انه مصدّعٌ حزينْ...
إلى أن يقول في القصيدة نفسها
وصَمَتَ الجميعْ...
وانتظرَ الجميعْ...
من فرط ما يحسه من الآلام...
سوفَ يقولُ شيئاً، سوفَ يبدأ الكلامْ...
وفجأةً تَصَبَّبَ الجبينُ بالعرقْ...

---

[1]- سورة العلق: الآية [1-3].

[2]-ينظر: محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ص76.

وراحَ يَرتعشْ...
وجَحظتْ وارتفعتْ، كأنها الأشرعةُ الآذانْ...
وصاحَ ترجمانٌ: دثروهْ...
وصاحَ ترجمانٌ: صوروهْ...[1]

إن المتلقي هنا لا يتبادر إلى ذهنه أن الشاعر يقصد حادثة الوحي إلا عندما يصل إلى السطرين الأخيرين من القصيدة ، فهما بمثابة حل للغز الكلمات السابقة، وهذا ما يُسمى بغير المباشرة في التعبير.

فمن خلال هذه الأسطر الشعرية نعرف وقع نزول الوحي، حيث كان شديدا على الرسول صلى الله عليه وسلم، مما جعل الشاعر يقوم بتشبيه ما كان يحسه صلى الله عليه وسلم من الآلام والحمى بما يعانيه الوطن وما يحسه من الآلام والحمى، وأن جبهة الوطن مكوية بسيخ نار كما كانت جبهة الرسول صلى الله عليه وسلم تشتعل من شدة الحرارة مما جعله يتصبب عرقا.

فالنص يتضمن إشارة إلى أن الوطن يحتاج إلى من يدثِّره ويزمله ويغطيه بغطاء يستدفئ به من البرد لتنقص رجفته.

إن حضور الموروث في الإبداع الشعري المعاصر يؤكده تعامل الشاعر مع المُقدس الديني[2] وهذا المُقدس الديني المتمثل في حادثة الوحي، واستعمل الشاعر هنا قوة الكلمة التي تُجسد وبقوة الحالة الشعورية التي يمر بها تجاه وطنه، وهذا ما يبرز إبداع الشاعر عندما جسد واقع هذا الوطن المؤلم وقابله وماثله بحال النبي صلى الله عليه وسلم وما يتعرض له من تعرق وارتجاف.

---

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص488–489.

[2]– ينظر: أحمد زكي كنون، المقدس الديني في الشعر العربي المعاصر، افريقيا الشرق، الرباط، المغرب،(د ط)، 2006، ص52.

والوحي هو العلامة التي أشار إليها الشاعر ومن بعدها القيامة، أي أن هذه الحال التي يمر بها الوطن لن تطول، فهذه بشرى من الشاعر إلى الوطن على التحرر من الاحتلال الغاشم، أما الترجمان الذي كان يتحدث عنه الشاعر فهو(ورقة بن نوفل) ابن عم خديجة، فقد كان يكتب الإنجيل بالعبرانية.

وهو الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم: أن هذا الأمر الذي حصل معك هو نفسه ما حصل مع الأنبياء والرسل قبلك وإنك لمختار من عند الله لتكون نبي هذه الأمة ورسولها[1]، وهذا يدل على أنها إشارة، وفي نفس الوقت بشرى هذه البشارة التي جعل منها الشاعر خاصية اشترك فيها الوطن مع النبي صلى الله عليه وسلم.

فالشاعر بين العلاقة بين المتداخلة بين نزول الوحي وزمن الشدائد التي تمر بها بيت المقدس وذلك باستخدام اللغة الإيحائية غير المباشرة اللامحدودة «ومن ثم فإن هذه اللغة العادية بمحدوديتها وتناهيها عاجزة عن استيعابها والتعبير عنها ،ومن هنا كان سعيه الدائب وراء اكتشاف لغة أخرى تتسع للتعبير عن هذه الأحاسيس والمشاعر اللامحدودة التي يحسها، ويشعر بعجز اللغة العادية عن استيعابها»[2]، وبالتالي قد انتقى الشاعر من اللغة ما يناسب أحاسيسه وتجربته الشعرية.

[1]–ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط2، ج1،1990، ص269.

[2]– علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص44.

2- حادثـــة الإسراء والمعـــراج

تُعتبر حادثة الإسراء والمعراج من أعظم وأضخم ما حدث ف فترة الدعوة الإسلامية، وهي حادثة مقدسة عظيمة في تاريخ النبوءة «فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيت بالبراق-وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه- قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريا عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل اخترت الفطرة»[1].

استحضر معين هذه الحادثة المقدسة استحضارا غير مباشر، فلم يشر إلى الحادثة أكانت إسراء أم معراجا، قال في قصيدة(الرصاصة الأولى):

وأطلَّ حزيرانُ ومدَّ الكفين
بأقراصِ العسلِ المسمومهْ...
مدَّ الكفينِ بتلكَ القافيةِ المشؤومهْ...
صار حزيرانُ« براقا»
صارتْ أقدامُ الشعراءِ الأعناقا
ركبوا، كلهمُ ركبَ براق حزيران ،
فجمحَ وألقاهم عن صهوتهِ
تحت قوائمهِ وانتفضَ وطارا...[2]

[1]- سليمان بن حمد العودة:السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق،إدارة الثقافة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1993، ص205.

[2]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص403.

لقد اكتفى الشاعر بذكر (البراق) ولم يذكر أي كلمة أخرى تدل على الحادثة، ولم يبين الحادثة بالضبط أكانت حادثة إسراء أم معراجا، فالبراق هو الحيوان الذي ركبه صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج، فلم يمتطيه أحد قبله ولن يمتطيه بعده، فهاهو حزيران الأسود يستحيل إلى براق بعد ما مد الكفين بأقراص العسل المخدوعة.

لقد تقمص الشعراء شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا ركوب البراق ليعرجوا به إلى السماء، لكن حزيران جمح وألقاهم عن صهوته وطار، فبعد هزيمة حزيران 1967 جاءت صورة ذهول حزيران أمام واقع مرعب، فقد كانت هذه الهزيمة محسومة بسبب الذل والقهر والخنوع والخرافات التي كان العرب يعيشونها قبل أن يدخلوا المعركة[1]، لدرجة أنهم تخيلوا أن حزيران هو شهر الحرية، وهو ذاك الحصان المجنح الذي سوف يعرج بهم إلى سماء الحرية بعد هزيمة هزيمة الصهاينة، وانتهت المأساة واستفاق العرب من نومهم.

3- *معركـة حطيـن*

تتردد كثيرا لما لها في النفس العربية والإسلامية من إشراق لارتباطها بالقدس وبصلاح الدين الأيوبي، فهو اسم المعركة التي ترتبط باسم صلاح الدين الأيوبي باعتبارها نقطة التحول التي أنهت غزوة الفرنجة الأولى وبداية زوال وجودهم، ففي حطين تَقَرَّر مصير بيت المقدس وقال التاريخ كلمته 24 ربيع الآخر 583هـ فقد سحق صلاح الدين الأيوبي الصليبيين على أرض المقدس[2]

فمعركة حطين حاضرة بين قصائد الشاعر، لأنها تُعد نقطة تحول تاريخية في تاريخ القدس الشريف، لكن الشاعر هنا ينوع في استحضار هذه المعركة بين أسطر قصائده الشعرية فمرة يوظفها ليبين الواقع المأساوي الراهن ومقابلته بماضي البطولات ، ومرة

[1]-ينظر: www.albinaa.com 2016/02/19 الساعة 10:26.

[2]- ينظر: محمد جلال كشك، لمحات من حطين، لجنة القدس، القدس، فلسطين، ط1، 1985، ص40.

أخرى يوظفها من أجل تمجيد التاريخ الإسلامي؛ تاريخ صلاح الدين الأيوبي ففي قصيدة (إلى سائحة) مخاطبا الصهاينة المحتلين:

معذرةً سيدتي إنْ جئت إلينا في يومٍ
تُقطعُ فيه أيدي الشعراءْ
ماذا في الشرقِ يُباعْ ؟
بْعنا لعجوزٍ سائحةٍ قبلَكِ قبرَ صلاحِ الدينْ
وحِطّينْ[1]

الشاعر هنا يتساءل ماذا بقي في الشرق كي يباع فقبر صلاح الدين قد بيع من قبل، هذه المعركة التي فصلت بين العرب والصليبيين وبفضلها أصبح بيت المقدس حرا وتحررت بلاد الشام، قد بيعت مع قبر صاحبها في سوق النخاسة بأرخص الأثمان ، فقد اعتبر الشاعر حالة الشرق اليوم كحال السوق،إذ تباع فيه كل القيم والحضارات وفي قصيدة (النقش بالإزميل والرسم بالطباشير على جلد غزة):

ليس لها تليفون
من مصرف حطين
وقعه بالسيف صلاح الدين
لم تصرخ يوما وا معتصماه
ولم ترقص يوما فوق دنانير المؤمون[2]

يتحدث الشاعر هنا عن مدى معاناة غزة وتحملها الآلام فهي لم تكن ضمن لائحة حطين، لم يصلها الفتح من عند صلاح الدين، رغم هذا إلا أنها لم تصرخ يوما صرخة المرأة العمورية ، وهذا كله يأتي تحت عنوان غزة العزة وكأنها تعلم أنه لا يوجد ملبي للنداء.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 430.

[2]– المصدر نفسه: ص468.

عند تأملنا في هذه الأسطر الشعرية، نجد أن الشاعر قد مزج بين صلاح الدين والخليفة المعتصم والخليفة المأمون، وقام بربط كل حادثة بصاحبها في حين أشار إلى المؤمون بالدنانير لأنه في عصر خلافته لم يشهد التاريخ أي فتح.

رغم هذه الأمجاد والبطولات التي ذكرها الشاعر نجده يميز بين عصر كان وعصر الآن ليبوح بكل أسراره لغزته في آخر أبيات القصيدة:

ونَسينا عنوانك يا «غزه»...

يا مَلِكةَ عصرِ الصمتْ...

لا وزنٌ ولا قافيةٌ للموتْ...[1]

لقد أصبح الشاعر يعترف، بعدما كان يتحسر لحال بلدته والأوضاع السائدة فيها بسبب المستعمر الغاشم، وقابل كل هذا لم تجد غزة من يلبي نداءها إن صرخت ، وأصبح عنوانها منسي وتربعت فوق عرش الصمت وظل الواقع الغزاوي واقعا منسيا.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص469.

ثالثـــا :الأمكنة

لقد وظف الشاعر المكان كما الشأن مع الشخصيات والأحداث، قد وردت في قصائد الشاعر أماكن مقدسة لم يكن ذكرها مجرد توظيف عابر، بل على العكس كانت معظم الأماكن بداية لحد معين حاملة لمعنى ودلالة، ومن بين هذه الأمكنة نذكر:

1-غار حراء وغار ثور

هما مكانان مقدسان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فغار حراء هو المكان الذي كان يتعبد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وحتى نزول الوحي، وهو من أبرز وأهم الأماكن في سيرته العطرة ويوحي برموز ودلالات شتى، أما غار ثور فهو الغار الذي اختبأ فيه صلى الله عليه وسلم والصحابي أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1].

ولعل التوظيف الموحد لهذين المكانين في نفس القصيدة وهو الدلالة الواحدة ، هي دلالة الأمن والاطمئنان من جهة ، ودلالة الصبر من جهة أخرى، وهو لم يذكر غار ثور باللفظ الصريح كما فعل مع مع غار حراء وإنما ذكر أحد رموزه وهي الحمامة والعنكبوت يقول في قصيدة(آخر القراصنة والعصافير):

أبحثُ عن مغارةٍ جديدهْ،
عن قافيهْ...
غار حراء أين؟
عنكبوتُ هذا العصر واشيهْ
ثرثارةٌ،
وهذه اليمامةُ البيضاءُ،
ذاتُ الطوقِ والخلخالِ زانيهْ
تبيعُ بيضَها وعُشها،

[1] www.mowdo3.com 2016/02/22 الساعة 19:51.

لقاءَ ملءِ حوصلهْ...
ومن يلومُها اليمامةُ
المطوَّقهْ...
زنتْ...
أجل زنتْ
ولكن فوق حبل مشنقهْ[1]

فغار حراء كان مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم طواعية منه، إنه المكان الذي كان يرتاح فيه وكان يُشعِره بالأمان، والشاعر يبحث عن الأمن والأمان لكن هذا الإحساس مفقود في زمن الشاعر.

أما غار ثور فقد ذهب إليه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم مع صاحبه بصفتهما هاربين لاجئين من الظلم والاستبداد فاختبئا فيه ولم تشي بهما العنكبوت ولا اليمامة، فقد كانتا وفيتين لهما صادقتين معهما.

فالشاعر يقول في حال أنه وجد مغارة لكنه لن يجد عنكبوتا ويمامة وفيتان بل على العكس، فعنكبوت هذا العصر واشية مخادعة متواطئة مع الاحتلال الصهيوني واليمامة كذلك أيضا، وكأنه يقصد تلك الدول المتواطئة مع الاحتلال وطريقة معاملتها مع اللاجئين من سياسيين وقادة وشعب.

2- كربلاء

وظف معين بسيسو مدينة كربلاء، ليس كمدينة ولكن كاسم لمكان شهد جريمة لا تُغتفر بحق ابن بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الحسين بن علي، فكربلاء المكان الرمز، رمز بها الشاعر إلى أرض المقدس التي تُمارس عليها أبشع أنواع الجرائم في حق شعبها وما أكثر المنافقين فيها، وتبقى كربلاء حاملة لكل معاني الظلم والمعاناة، حتى وإن

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص601.

تغير الزمان وطرفا الجريمة، فالمأساة واحدة لأنها تحمل اسم كربلاء، فهاهو الشاعر يجسد هذه المأساة في قصيدة(القمر ذو الوجوه السبعة):

رأيتُه في كربَلاءَ ،
تحتَ رايةِ الحسينْ
صهيلُ سيفهُ معَ الحسينْ
وفوقَ سيفِهِ قصيدةٌ منقوشةٌ
في مدحِ قاتلِ الحسينْ[1]

«فالشاعر قد ترك المتلقي يسافر إلى أعماق الذاكرة العربية ويجوب أقانينها ليعود محملا بدلالات متعددة ومتنوعة تحمل أوراق الهزيمة بعضا منها»[2]، وهو هنا لم يتطرق إلى وصف مدينة كربلاء ولكنه اكتفى فقط بذكرها للدلالة على الجريمة التي وقعت على أرضها، فكما كان الحسين رضي الله عنه شهيدا على أرض كربلاء ففلسطين قد غدت كربلاء بشهدائها، وبالتالي هي رمز للثورة، رمز للشهادة والحياة في آن واحد.

3- القدس

تُعد القدس من أعظم المدن في التاريخ الإسلامي باعتبارها أرض مقدسة مباركة قوله تعالى﴿سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا﴾[3]

فهي أرض تحوي كل ما هو مقدس وهي مهبط الأنبياء، وأرض الديانات السماوية الثلاث، وهاهو الشاعر يستدعي وطنه القدس هذا الوطن المقدس وما يعانيه من تدنيس من طرف الكيان الصهيوني.

---

[1]- معين بسيسو:الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص295.

[2]- أحمد قيطون: مساءلة التاريخ في الشعر الجزائري، مجلة الأثر،كلية الآداب واللغات،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة، الجزائر، العدد19، 2014، ص104.

[3]- سورة الإسراء: الآية1.

يقول في قصيدته (الخروج):

والوطنُ يكونُ جميلاً،
حين يكونُ الوطن بعيدا...
لكن حينَ الوطنُ يصيرُ قريبا،
ويصيرُ نشيدا...
ويصيرُ الوطنُ مكاتبْ...
ويصيرُ الوطن ثعالبْ...
كانَ علينا، أن نرفضَ تلكَ اللعبهْ
ونجرَ العربهْ...
قالوا:القدسْ
وكتبنا يا محمودُ عن القدسْ،[1]

الشاعر يتكلم عن وطنه القدس، عن حالته وهو قريب وعن حالته وهو بعيد، و ينظر إلى وطنه وهو مكان مظلم ظلاما دامسا، ينتظر بزوغ فجر جديد وأمله في فتح قريب.

ونجد معين بسيسو يصف مدينة القدس بتلك الأرض الخضراء المغتصبة، ويتجلى ذلك في قوله في قصيدة(فلسطين في القلب):

يا أيادي
ارفعي عن أرضيَ الخضراءِ ظلَّ السلسله
واحصدي من حقلِ شَعبي سُنبلهْ
فأنا لم أحضنِ الخبزَ ومن قمحِ بلادي

[1]-معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص550- 551.

منذُ أنْ هبّت رياحٌ مثقلاتٌ بالجرادِ
نَهَشَتْ أرضَ بلادي
وجماهيرَ بلادي[1]

فأرضه الخضراء مقيدة بالسلاسل، مصادرة من طرف الاحتلال فهو ينادي أيادي الظلم برفع هذا الظلم والعدوان عن أرضه لكي تُحصد فيها السنابل، ويُصنع منها خبز فلسطين، هذا الخبز الذي لم يتذوقه الشاعر منذ هبوب رياح الجراد الذي نهش وخرَّب أرض بلاده وجماهيرها.

فالشاعر هنا يتألم لما يحصل لوطنه القدس، وهذا الألم وهذه الحسرة ليست ضعفا منه بل على العكس تماما، فهذا تحريض من الشاعر على المقاومة والنيل من المستعمر وترسيخ فكرة أن ما أخِذ بالقوة لا يُسترجع إلا بالقوة.

فيقول في القصيدة نفسها:

فجذوري تتحدّى الفأسَ في أرضِ بلادي
وهي خضراءُ تُنادي :
يا أيادي
«إرفعي عن أرضيَ الخضراءِ أغلالَ الجرادِ
وحَصادي، لي حَصادي»[2]

فالقدس دائما تحضى بشرف المكان القدسي الذي باركه الله عز وجل من عنده، فالشاعر رغم تفجعه وتألمه لكنه يشير دائما في نهاية القصيدة إلى عدم اليأس والقنوط واستمرارية المواجهة.

[1]–معين بسيسو الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص141.
[2]– المصدر نفسه: ص142.

هكذا كان تعامل الشاعر معين بسيسو مع الأماكن التي حملت في طياتها دلالات رمزية إسلامية، حيث استطاع استحضارها وتحميلها دلالات أخرى عصرية عبر بها على الظروف الراهنة لبلاده ولحال الأمة العربية والإسلامية.

الفصـــل الثانـــي: الرموز المسيحية واليهودية

أولا:الرموز المسيحية

1- الشخصيات

1-1 المسيح عليه السلام

1-2 مريم عليها السلام

1-3 أصحاب الكهف

2- الأحداث

2-1 حادثة العشاء الأخير

2-2 حادثة الصلب

3- الأمكنـة

3-1 الكنيسة

3-2 المذبح

ثانيـا: الرموز اليهودية

1- الشخصيات

1-1 موسى عليه السلام

1-2 يوسف عليه السلام

1-3 يونس عليه السلام

1-4 نوح عليه السلام

2- الأحداث

2-1 حادثة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون

2-2 حادثة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد

2-3 حادثة العجل الذهبي

3- الأمكنة

3-1 أورشليم

3-2 جدار المبكى

3-3 سيناء

لقد عالج الشعراء المعاصرون قضية الرموز المسيحية واليهودية بكثرة في شعرهم، وذلك لأن هذه الرموز تُشكل مادة حية في شعرهم، وكان في استحضارهم للشخصيات اليهودية والمسيحية والأماكن وبعض الأحداث إثراء كافيا للتعبير عن واقعهم لأن هذا التوظيف لم يكن توظيفا عابرا ولاسيما الرموز المسيحية التي توحد الشعراء الفلسطينيين في التعبير عن مأساة صلب المسيح ومعاناته بالدرجة الأولى، فالمسيح عليه السلام هو ذلك الفرد الفلسطيني الذي يعاني الصلب كل يوم ويتعرض للمأساة نفسها.

وهاهو الشاعر الفلسطيني المعاصر معين بسيسو أحد الشعراء المسيحيين، وبالتالي فهو متأثر بالتراث المسيحي إلى حد كبير، قد ساهم في توظيف بعض الرموز المسيحية والتي أغلبها يدور حول قضية الصلب وهذا بهدف تجسيد واقع الشعب الفلسطيني، وهذا ما يدل على أن الشاعر يعالج قضية سياسية في قالب أدبي، فمعين بسيسو شاعر مناضل ضد العدوان بقلمه، هذا القلم الذي أحدث ضجة كبيرة في صفوف العدو ما أدى إلى سجنه ونفييه في الأخير.

من بين رموز الديانتين؛ المسيحية واليهودية التي وظفها الشاعر نجد:

أولا: الرمــوز المسيحيــة

ما نجده في شعر معين بسيسو أنه يوظف الرموز المسيحية بكثرة، فالفلسطيني والمسيح عليه السلام قد تعرضا للصلب والتعذيب في المكان نفسه و من العدو نفسه، فالصلب والمعاناة قد خصت الشعب الفلسطيني تارة وخصت الشاعر تارة أخرى، فالشاعر والمسيح يشتركان في قضية تكليف الرسالة أو في قضية النبوة، فقد مثل الشاعر نفسه بالمسيح عليه السلام في معاناته أثناء نشر قصائده وردة فعل اليهود عليه.

ومن الرموز المسيحية التي وظفها الشاعر:

1- الشخصيـــات

1-1 المسيح عليه السلام

تعدد توظيف الشاعر لشخصية المسيح عليه السلام ، لكن هناك انعدام ذكر النبي عيسى عليه السلام باسمه، فالشاعر قد اكتفى بالإشارة إليه في ذكره لقضية صلبه فهو يرمز إليه بطريقة غير مباشرة، أي بطريقة تضمينية ففي قصيدة (إلى عيني غزة في منتصف ليل الاحتلال) يقول:

غيرَ أنَّ القلبَ خفاقٌ ولكن لا يَفوهْ
خافقاً في ظلكَ الشامخِ يا منْ طاردوهْ
وعلى دربٍ كحدِّ السيفِ قد راحَ يسيرْ
كيفَ يكبو والجماهيرُ أبوهْ
يَدُها في يدِهِ أنَّى يسيرْ
ويهوذا وَّرنينُ الفضةِ الدّاجي الرهيبْ
قد مضتْ تنهشُ عيناهُ الدروبْ
واقفٌ يحلمُ فيها بِمسيحٍ وصليبْ[1]

وظف الشاعر هذا الرمز الذي يدل وبكل قوة على التضحية بالنفس والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي كان يكتسبها المسيح عليه السلام ولكن المقصود هنا ليس السيد المسيح عليه السلام إنما الشعب الفلسطيني ويهوذا هو اليهودي المحتل، وكأن يهوذا الاسخريوطي عاد في ثوب اليهود المحتلين ويريدون صلب الشعب الفلسطيني وقيادته إلى الصلب، فهو يماثل بين معاناة المسيح ومعاناة الشعب الفلسطيني من قبل اليهود.

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص137.

كما أنه يشير إلى الخيانة، خيانة اليهود للشعب الفلسطيني، فهم إذا عاهدوا عهدا نقضوه، ولم يوفوا به، وقد اختلفت دلالة شخصية المسيح في كل قصيدة من قصائد الشاعر، وهذا بحسب السياق الذي جاء فيه رمز المسيح المصلوب، ففي قصيدة(إلى طفلتي داليا) يقول معين بسيسو:

وكمصلوبٍ يحلمُ ،
لو تلمسُ قدماهْ ...
الأرضَ النائيةَ كنجمٍ ،
لو يَمشي ،
لو يسمعُ وقعَ خطاهْ ...
أنا أحلمُ بشتاءْ[1]

فالمصلوب في هذه القصيدة هو الشاعر فهو يشبه نفسه في أرض المنفى بالمصلوب المعلق فوق الألواح، وهو ينسى أن تلمس قدماه الأرض وطنه نائية عنه بعيدة بعد النجم عن الأرض، فكيف يمشي على أرض بعيدة.

لقد حضرت هذه الشخصية لتبيين أسباب ألم الشاعر ومحاولة تبرأه وتخليصه من الغرب وانتصاره للمعذبين من أبناء فلسطين.[2]

فشخصية المسيح حملت في طياتها كل معاني الأسى والمعاناة والظلم التي يمر بها الشعب الفلسطيني في ظل الظلم اليهودي.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص178.

[2]– ينظر: سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني، في الشعر الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003،ص20.

1-2 مريـم عليهـا السلام

هي مريم بنت عمران، اصطفاها الله وطهرها، واصطفاها على نساء العالمين، يقول تعالى﴿ وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلى نِسَاءِ العَالَمِينَ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾.[1]

يستحضر الشاعر معين بسيسو شخصية مريم البتول عليها السلام استحضارا تضمينيا غير مباشر، كما في قوله في قصيدة (الأمير الفلسطيني):

-إلى علي حسن سلامة-

آه يا حبيبي.
شَمعدانٌ يرتدي قميصهُ البنَفسجيَّ
يلفُّ نافورةً حولَ عنقهِ،
ويَمضي في تمامِ الساعةِ الرابعه .
كانتِ الشبابيكُ تَرتدي الأقنعه .
لم تكنْ أصابعُ كفّيهِ
ينابيع،
كما كان في الساعةِ الرابعه .
لم يكنْ -ابن أبيه-
سليلُ شجرِ السَّروِ والمتاريسِ
لم يكنْ صولجانُ أمِّهِ
لم يكنْ نخلةً تهزّها يمامةٌ حُبلى
كما كانَ في الساعةِ الرابعه .[2]

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 42.

[2]- معين بسيو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص678.

معين بسيسو يتحدث عن الشهيد الفلسطيني علي حسن سلامة الملقب بالأمير حسن الفلسطيني، الذي استشهد عندما تم تلغيم سيارته بعبوة ناسفة.[1]

الشاعر هنا يصف حالة فلسطين وهي تفقد أحد أمرائها بطريقة بشعة ويقارن بين ألمها وبين ألم مريم البتول وهي في لحظات المخاض، إلا أنه شتان بين الألمين وبين الحالتين فمريم العذراء حين أتاها المخاض ذهبت تحت النخلة التي كانت ملاذا لها وسندا تستند عليه في أحوج اللحظات، فكانت النخلة قبل أن تلد مريم عليها السلام هي الملجأ الآمن لها من قومها وأهلها فأثمرت لها النخلة رطبا جنيا واحتمت بها.

وبعد أن وضعت مولودها أصبح لها سندا جديدا وملاذا آخر يحميها وهو المسيح عليه السلام والذي رمز له الشاعر بالصولجان الذي يدل على السلطة والهيبة، فالصولجان لا يمسكه إلا من كان ملكا أو أميرا.

أما فلسطين فلم يكن لها الأمير حسن الفلسطيني لا نخلة مثمرة ولا صولجان ليحميها بل كان شهيدا في الساعة الرابعة.

والشاعر هنا يقارن بين ألم مريم عليها السلام وبين ألم فلسطين، ألم مريم عليها السلام كان ألم من أجل الحياة فقد أحضرت إلى الدنيا أعظم رجل وهو المسيح عليه السلام، أما ألم فلسطين كان ألما بسبب الموت فقد فقدت أعظم رجالها وهو الأمير حسن الفلسطيني.

وبهذا نرى أن معين بسيسو قد استحضر شخصية مريم عليها ورمز بها إلى فلسطين التي تعاني من الألم والمعاناة فلم تجد لا نخلة ولا صولجان تحتمي بهما، فهي تعتصر كل يوم ألما ليخرج منها عظماؤها إلى الموت لا إلى الحياة فمخاضها ينتج عنه شخص ميت.

1-3 *أصحـــاب الكهـف*

[1]- ينظر: سمير محمود قديح: تفاصيل الإغتيالwww.alwatanvoice.com 2016/06/02 الساعة 20:47.

وردت قصة أصحاب الكهف أوّل ما وردت في التراث المسيحي تحت اسم النيام أو نيام أفسوس السبعة وهم مكسيميليان Maximilian،يمليخاYamilka،ديموسDimos أمبليكوسAmplicous، مرطونسMertens، بيرونس Pirons، كشطونس Kashtons.[1]

وقد استحضر معين بسيسو هذه الشخصيات العظيمة من تاريخ الدين المسيحي تحت اسم أصحاب الكهف في قصيدة (ثلاث كؤوس لأهل الكهف) التي قال فيها:

(1)

الكأسُ الأولى آهْ
سَقَطَ الأسدُ وجرَّ النخّاسُ الأشبالْ
والمخلبْ كالزهرةِ ، والنابُ كعودِ الريحانْ

ويقول في الكأس الثانية من القصيدة نفسها:

(2)

والكأسُ الثانيةُ المنقوشةُ
في لوحِ الكرمةِ آه
سَرَقوا مِصباحَ علاءِ الدينِ
وأصبَحَ عبدَ الأشرارْ[2]

أما الكأس الثالثة فقال فيها:

(3)

أما الكأسُ الثالثةُ المشؤومةُ
آه
قد أقبلَ آذارْ

[1]– ينظر: أحمد علي المجدوب، أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر،ط1، 1990،ص88–89.

[2]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص233.

واستيقظَ أهلُ الكهفِ
وأرخىَ أذنيهِ الطبلُ
وفتّحَ عينيهِ المزمارْ
الشارعُ في قدميهِ الأغلال
يمشي يا وَلَدي أَلفُ شعارْ
يرجُمُهُ التاجرُ واللصُّ[1]

الشاعر يقدم ثلاث كؤوس لأهل الكهف يحمل ثلاث آهات تحسرا وتألما لحال فلسطين وأشار للعرب وهم في عصر الصمت ورمز لهم بأهل الكهف لنومهم العميق وسباتهم لذا أرسل لهم ثلاث كؤوس ممزوجة بآهات وآلام فلسطيني تجرع من الآلام والمعاناة ما تجرع لعلهم يستفيقون.

ففي المقطع الأخير من القصيدة نجد أن الكأس الثالثة قد أفاقت أهل الكهف، لكن بعد فوات الأوان فالشارع مقيد بالأغلال يرجمه التاجر واللص، فقد ناموا في غير وقتهم واستيقظوا في غير وقتهم أيضا، وأهل كهف الشاعر هم ليسوا أهل كهف الرقيم، يقول تعالى﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً(3) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن تدعوا من دونه إلها لقد إذا شططا﴾.[2]

فالشاعر لا يشير إلى أهل الكهف في وقوفهم ضد الكفر وقولهم لكلمة الحق، بل اتخذوا الجانب الآخر من القصة وهو نومهم العميق الذي دام مئات السنين ليرمز به إلى حال الأمة العربية، فقد أسقط حالتهم تلك داخل الكهف على العرب، أمام هول الاحتلال الذي تعاني منه فلسطين.

2-الأحـــداث

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص235.

[2]- سورة الكهف: الآياتان [13-14]

وظف الشاعر بعض الأحداث التاريخية الدينية المسيحية التي تُعد جزءا من تراث الشاعر كونه مسيحي الديانة، فقد كانت أغلب الأحداث المسيحية التي استثمرها الشاعر خاصة السيد المسيح عليه السلام، لذا فهو لم يذكر أحداثا أخرى سوى قصة العشاء الأخير والصلب، هذه الأخيرة كانت حاضرة في أغلب قصائده ومن هذه الأحداث نذكر:

2-1 *حادثة العشاء الأخير*

استحضر الشاعر معين بسيسو رمزية العشاء الأخير للسيد المسيح عليه السلام، وهو يرمز للعشاء الأخير بالعشاء الرباني لسيدنا عيسى مع تلاميذه، حيث أنه اقتسم معهم في تلك الليلة الخبز والنبيذ، فالخبز يرمز لجسد المسيح والخمر يرمز إلى دمه الذي سُفِك من أجل تخليص البشرية وتطهيرها من خطيئة الإنسان الأولى، فمن خلال أكل الخبز وشرب النبيذ ،تكمن الرمزية في دلالة تمازج بين الأكل والشرب وبين السيد المسيح والتعاليم التي جاء بها.[1]

وهذا ما نجده في الكتاب المقدس«وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال« خذوا كلوا هذا هو جسدي» وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا«أشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»».[2]

[1]- بلال موسى العلي: قصة الرمز الديني، ص195.

[2]- العهد الجديد: إنجيل متى (26-26:29).

وفي هذا السياق يقول الشاعر في قصيدة (المُخَلِّص الكذاب):

المستر جون فوستر دالاس

على صليبْ
من ورقِ الزيتونْ
تمدَّدَ المخلّص الكذّابْ
كالغرابْ
على بساطِ نورْ
«ابكينْ يا جواري»
« بأدمعِ– الحواري»
يا كلَّ فرسانِ الوحولْ
حَوطِّوا عِجلَ الذهبْ
من قبلُ في عشائهِ الأخيرْ
قالَ لَنْ يخونَني منكمْ أحدْ
يا إخوتي لحمي لكم قرصُ عسلْ
خمرٌ دَمي لكم كفرحةِ الحياةْ[1]

ثم يقول في القصيدة نفسها:

كذَّابتانْ
عيناهُ تَغْمضانْ
المخلّصُ الكذّابُ قامْ
كسارقٍ بينَ النيامْ
بخنجرٍ من اللهيبْ

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص129.

قد راحَ يقطعُ المسعورْ
لحمَ إخوتي خبزَ بنادقْ
ودماءَ إخوتي بها يسقي المشانقْ[1]

يتحدث الشاعر عن جون فوستر دالاسJhon Foster Dulles «الذي أدلى بتصريح مهم حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وعبر عن رغبة الحكومة الأمريكية في العمل على تحقيق تسوية سلمية بين الكيان الصهيوني والدول العربية، وطرح الوزير الأمريكي مشروعه من خلال قوله أنّ هناك ثلاث مشكلات رئيسة من أجل تحقيق التسوية».[2]

وتمثلت هذه المشكلات فيما يلي:

1- وضع حد لبؤس مليون لاجئ فلسطيني.

2- الخوف الذي يسيطر على دول المنطقة مما يجعلها عاجزة عن الشعور بالأمان.

3- من أجل ضمان الحدود يجب أن يكون هناك اتفاقا مسبقا حول طبيعة هذه الحدود.[3]

وهذا كله يتلخص في«محاولة تصفية القضية الفلسطينية عن طريق مشاريع ذات مظهر تقني خارجي براق».[4]

في القصيدة سابقة الذكر يتهم الشاعر معين بسيسو فوستر دالاس وينعته بالمخلص الكذاب، الذي يتمدد على صليب من ورق الزيتون، وشبهه بغراب أسود يتمدد على بساط

[1]- معين بسيسو الأعمال الشعرية الكاملة (المصدر السابق): ص130.

[2]- ليلى سليم القاضي: تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي 1948-1972، مجلة شؤون الفلسطينية، ع22، حزيران يونيو،1973، ص91.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[4]- المرجع نفسه: ص92.

من نور والنور هو ورق الزيتون، فدائما ما يجعل منه شعراء فلسطين ورقا من نور وأغصانا من ضياء، وشتان بين السواد والضياء.

لقد كان فوستر دالاس كذابا منافقا يستتر في ثوب الإخلاص وكأنه هو المسيح المُخَلِّص، وقد جاء ليخلص الفلسطينيين من عذاب اليهود بمشروعه الزائف، فجعل من نفسه مسيحا في عشائه الأخير مع إخوانه الفلسطينيين وزعم أن لحمه للفلسطينيين هو قرص من عسل، ولكن هذا القرص كان مسموما وكل ما قام به كان لصالح اليهود، فهو يريد أن يستغل الموقف الفلسطيني والعربي ليُنفذ مشروعه الخائن(مشروع دالاس الأمريكي) وبهذا المشروع حاول فوستر دالاس وضع الأمة العربية تحت رحمة اليهود المحتلين ومصادرة الأراضي الفلسطينية.

فهو في نظر الشاعر سارق ولص وكذاب، وقد شبهه بالغراب، لأن الغراب« قليل الذمة خبيث... يقال إن نوحا عليه السلام لما كان في السفينة بعث الغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضع،فوقع على جيفة فلم يرجع.فبعث بالحمامة فاستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها فجعل لها ذلك جُعلاً».[1]

فالغراب لم يقع على اليابسة وعلى غصن الزيتون وإنما وقع على جيفة، والحمامة البيضاء هي من يجب أن تتمدد على على بساط النور.

ورمز لفوستر دالاس بالغراب كذلك لأن الغراب عند العرب هو نذير شوم، فقد كانوا يتطيرون به في القديم فإذا«كان التطير من الطير فإن الغراب أشأم ما كانوا يتطيرون به»[2]، لأن مشروعه الذي أتى به لم يكن إلا نذير شؤم وبداية كارثة جديدة ستحل على الفلسطينيين.

[1]– محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1،،ج1، 1994، ص302.

[2]– المرجع نفسه: ص 325.

وقد جعل الشاعر من المسيح حمامة على صليب من زيتون، أما فوستر دالاس فهو غراب أسود على صليب من نور(الزيتون) فلونه يكشف مكره وخداعه والشر الذي كان يضمره، أما النور فهو دلالة على على النقاء والصدق والطهارة، في حين حمل اللون الأسود كل معاني الخبث والخداع والشر والكذب، فكان فوستر دالاس شأنه شأن الغراب لا ينبأ إلا بالشر ولا يقع إلا على الجيف، دلالة على قلة الذمة لديه.

ورمز له بالكلب المسعور في الأسطر الأخيرة من القصيدة، فالمسعور راح يقطع لحم الفلسطينيين بلا رحمة ولا شفقة، فهو متعطش لسفك دمائهم التي يسقي بها المشانق، فقد تظاهر بإعطائهم لحمه لكنه هو من أكل لحمهم، وتظاهر بسقايتهم من دمه لكنه هو من شرب من دمهم، فتخليصه كان خدعة وشتان بين تخليص المسيح الصادق وبين هذا المخلص الكذاب الذي لم يكن دمه ولحمه إلا خدعة منه، فالمُخَلّص الصادق هو سيدنا عيسى عليه السلام.

2-2 *حادثـــة الصلـــب*

أخذت هذه الحادثة نسبة كبيرة من قصائد الشاعر، فقد الكلمات(الصلب، صليب، مصلوب) الكلمات الوحيدة التي يستطيع من خلالها الشاعر أن يعبر بها عن مأساة شعبه ومعاناته، وقد تناولها الكتاب المقدس في إنجيل متى«فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كلّ الكنيسة، فعروه وألبسوه رداء قرمزيا وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه»[1]

وهذا عندما كان الجنود يستهزئون به« وفيما هم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع يقال له جُلْجُثة، وهو المسمى

[1]- العهد الجديد: إنجيل متى[27- 29:27]

«موضع الجمجمة» أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب،ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها»[1]

وها هو معين بسيسو يذكر أحداث هذه الحادثة مُعبرا عن معاناته ومأساته، وقد جسد هذه الحادثة بكل معانيها في قصيدته (كأس الخل) التي يقول فيها:

واقترعُوا يا شَعبي
مَن يأخذُ ثَوبي
بعدَ الصلبِ...
* * *
كأسُ الخلِّ بيمنايَ
وإكليلُ الشوكِ على رأسي ،
باراباسُ ابنُ السكينِ طليقٌ ،
وابنُكَ يا شَعبي
ساقُوهُ إلى الصلبِ وللرجمِ...[2]

فإكليل الشوك، هو إكليل استهزاء فعادة ما يوضع الإكليل للتتويج والتكريم، ويُصنع الإكليل من الزهور والنباتات ذات الرائحة الزكية، ولكن هذا إكليل الشوك الذي يدل على على المعاناة بجميع أنواعها، فالشاعر جعل من نفسه مسيحا قد عاد من بعد الصلب، وأعيدت قصة صلبه ومعاناته من جديد، فمعاناة الشاعر هي معاناة شعب بأكمله.

وبارباس ذلك المجرم الذي يحمل السكين طليق وهو رمز لليهود بكل جرائمهم التي يقترفونها في وضح النهار وهذا ما نجده في الكتاب المقدس« ولكم عادة أن أطلق واحدا

[1]- العهد الجديد إنجيل متى (المصدر السابق):[27-34:32]

[2]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص161.

في الفصح، أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ فصرخوا أيضا جميعهم قائلين:« ليس هذا باراباس» وقد كان باراباس لصا»[1]

فالشاعر رمَز للفلسطينيين بالمسيح المصلوب ورمز لليهود المحتلين بباراباس ذلك اللص الطليق، فهو ابن السكين؛ أي ابن القتل والدماء وكل ما هو شنيع، أما ابن فلسطين فقد ساقوه إلى الصلب و الرجم، والمغزى من هذه القصيدة هو أن الشاعر أراد أن يبيِّن مدى الظلم والأسى والعنصرية المقترفة في الشعب الفلسطيني.

3- الأمكنـــة

تعامل معين بسيسو مع الأمكنة ووظفها على شكل رموز تثبت وتؤكد موضوع الانتماء«وموضوع الانتماء يؤسس لنفسه موضوعا مكانيا يقوم على الترميز وتحويل العلاقات عبر الصور، بحيث تتحول عناصر المكان وحقوله اللّغوية المختلفة إلى علامات رامزة تختزن العالم الدلالي للمشهد الشعري الفلسطيني»[2].

وضمن هذا التصور نستطيع أن نقول أن المكان يتحول في النص إلى«بنى وعلامات تساهم في توجيه قراءة وتلقي المكان في النص»[3]، هذا المكان الرمزي الذي يحول المكان من مكان محدود بشكله الهندسي إلى مكان لامتناهي من الإشعاعات الرمزية الدّالة على هوية الشاعر تارة أو على دلالات أخرى قام بتوظيفها الشاعر في قالب رمزي مكاني.

ولعل النكبة هي السبب والدافع الأول الذي دفع بالشاعر إلى توظيف هذه الأماكن التي يرمز بها بعا الشاعر إلى هويته المسلوبة وإلى وطنه البعيد الذي نُفي منه ويرجو العودة إليه، وكأن بتوظيفه لهذه الأماكن يشفي آلام الاشتياق، ويضيء نبراس أمل العودة.

---

[1]- العهد الجديد: إنجيل يوحنا[18-40:39]

[2]- ينظر: جمال مجناح، دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، مذكرة دكتوراه(مخطوطة)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،2007-2008، ص82.

[3]- المرجع نفسه: ص15.

كان تعامل الشاعر واضحا مع الأمكنة المسيحية المقدسة فهو يؤكد على هويته من خلال ذكره لها، وحضور الأمكنة الرمزية المسيحية المقدسة لها أبعاد ودلالات، فهذه الأمكنة لم يرمز بها معين بسيسو إلى الأمكنة في حد ذاتها، فقد ترمز للخوف من فقدان هذه الأمكنة ونسيانها على مر الزمان، لذا يسعى الشاعر إلى توظيفها وإعطائها مكانة فوق مكانتها المقدسة.

ومن بين هذه الأمكنة نجد:

3-1 *الكنيســة*

هي من أهم المقدسات في الديانة المسيحية وعلى حد قول مارسيا إلياد M.Eliade في كتابه المُقدس والمُدنس أنها«عبارة عن عالمين؛ عالم دنيوي وعالم ديني فالكنيسة هي في الوقت الحد الذي يميِّز ويقابل عالمين، والمكان المتناقض حيث يتوصل هذان العالمان وحيث يمكن إنجاز المرور من عالم دنيوي إلى عالم مقدس»[1].

وقد جعل الشاعر الفلسطيني المسيحي من الكنيسة «دلالات رمزية لتُعبر عن المعتقد الديني المسيحي»[2].

والكنيسة–كمعلم مقدس– حاضرة في الكثير من أشعار الشاعر إذ لا تخلو قصيدة من ذكرها وإيرادها تصريحا أو تلميحا ومن ذلك قوله –تلميحا– في قصيدة(ثلاثية):

أجراسُنا محطّمه...
والجُمْجُمَهَ...
وقارعُ الأجراسِ لم يزلْ
يهزُّ حَبلهُ ،

[1]– مارسيا إلياد: المقدس والمدنس،تر:عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص23.

[2]– بلال موسى العلي: قصة الرمز الديني، ص194.

لكي تُدقَّ تلكَ الجُمْجُمَهْ...[1]

نستشف من خلال هذه الأسطر أن معين بسيسو يرثي كنائس القدس، فهو يرسل صرخته إلى الضمير العربي، ويكشف عن تدنيس المقدسات الدينية المسيحية ، ولكن لا أحد يستجيب، وقد استعمل وقد استعمل لغة قوية غاضبة ذات دلالة معنوية أراد من خلالها إبراز مدى العنف الممارس على أرض المقدس وعلى مقدساتها الدينية.

ولعل الشاعر هنا لا يقصد بالتحطيم التحطيم المادي بل هو يشير إلى تحطيم معنوي داخلي، داخل نفوس الطائفة المسيحية في فلسطين، والجرس هنا هو رمز تحطم داخلي، في داخل نفوس الفلسطينيين، فالجمجمة هي بقايا الإنسان الميت، والتي تدل على الإنسان الأول الذي لا يجيب وهو الإنسان الحاضر الميت، ويقول في قصيدة(أجراس من طين):

أجراسٌ منْ زبدٍ تلمعْ

أجراسٌ منْ طينٍ تدمعْ

نستجدي الريحَ لِكي تُقرعْ...[2]

على حسب قول الشاعر أن هذه الكنيسة مهجورة ، أجراسها حزينة لا يوجد من يقرعها، فهي تنتظر هبوب الريح بفارغ الصبر لكي يُسمع رنينها في أرجاء القدس، فبعد أن قل رجاؤها في البشر أصبحت تستنجد بالريح لتحرك أجراسها فعادة من يقرع أجراس الكنائس هم البشر وبما أن الكنيسة هي مكان تقام فيه الشعائر الدينية فهجران الكنيسة هو هجران الدين، وكأن وحشية المحتل وصلت إلى المقدسات الدينية دمرتها حتى أضحت

[1]– معين بسيو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص449.

[2]– المصدر نفسه: ص 198.

مكانا مهجورا لا تُقام فيه أي صلاة بل غير لائق بالصلاة أصلا، فهي تأمل في ريح تهب عليها لتعيد لها الحياة وتُعيد لها ما أخذ منها.

فصوت الأجراس أصبح مفقودا في مدينة الشاعر، لهذا كانت صورة الأجراس باكية فمعين بسيسو يجعل من هذه الأجراس محطمة تارة وباكية تارة أخرى، وهذه الأجراس ربما هي البحر بزبده المغتصب أو المنازل الفلسطينية المهدمة من قبل المستوطنين ، وقد استخدم الشاعر رمز الدموع للدلالة على قصور الكلام فقد نطقت أجراس الكنيسة بكلام الدموع، والدموع هي اللغة الوحيدة المعبرة عن كل ما هو سيء ومُقترف في حق فلسطين.

غير أن الشاعر في الأخير يأمل في أن كنائس القدس سيشرق عليها فجر جديد وستهب عليها ريح الحرية لتقرع أجراسها ويسمع رنينها في أرجاء القدس، وتفتح أبوابها لتؤدي صلاتها وتقيم شعائرها وتبث فيها الحياة الدينية من جديد.

3-2 *المذبـــح*

كان المذبح حاضرا في شعر معين بسيسو لكن بصفة نادرة، بحيث أنه لم يذكره إلا في قصيدتين من قصائده، والمذبح«هو المكان المخصص لتقديم الضحايا في العبادة، وهو رمز للحضور الإلهي»[1].

وكون الشاعر مسيحي الديانة فالمذبح يشكل رمزا مقدسا في المسيحية، وهذا ما نجده في إنجيل متى« فإن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله والجالس عليه»[2].

فقد اعتُبر المذبح أو الهيكل أحد العناصر الرئيسة في الكنيسة، والتقرب من المذبح أو الهيكل يعني التقرب من الله، ويقول معين بسيسو في قصيدة (أجراس من طين):

---

[1]- ينظر :جوليان بطرس يوسف الخولي، في الرحاب الإنجيلية رموز مسيحية(د دن)، بيروت،لبنان، ط1، 2007، ص72.

[2]- العهد الجديد: إنجيل متى[23-22:21]

النجدةُ يا وادي عبقرْ
قد هَجموا بالقمر الأخضرْ
واختَطفوا نيرانَ الهيكلْ
واعطشي للمجرى الأوَّلْ
وبخيطٍ في ذاكَ المغزلْ
* * *
فتعالوا زمراً فالمذبحْ
من غيرِ دماءٍ والجدوَلْ
ما زالَ على كفِّ المنبعْ[1]

فرمزية المذبح هي دلالة على الإرتفاع « فالبشرية عبر تاريخها وضعت أماكن معبوديتها في الأعالي»[2]، فهو العلاقة بين الله والإنسان ، والمذبح هو دلالة وعنوان على التضحية والفداء؛ تضحية المسيح عليه السلام بدمائه في سبيل خلاص إخوته المسيحيين.

والشاعر هنا يستنجد بوادي عبقر لأن اليهود قد خطفوا نيران الهيكل، وهي تلك الشموع المضيئة حول الهيكل فقد تمت سرقتها، وأصبح المذبح من غير دماء؛ دماء المسيح عليه السلام.

فالدماء لا تنفصل عن المذبح فهي دلالة على دم المسيح فقد كان الكهنة قديما يرشون بعضا من دماء الذبيحة على المذبح وهناك من يرش الخمر لأن المسيح اعتبر الخمر دمه الذي سُفِك من أجل تطهير البشرية من خطيئة الإنسان الأول.

والشاعر هنا يرمز إلى سرقة اليهود للمقدسات المسيحية والتعدي عليها بكل أساليب الظلم والإعتداء.

---

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص197–198.

[2]– بلال موسى العلي: قصة الرمز الديني، ص177.

هكذا كان تعامل الشاعر مع الرموز المسيحية التي شكلت وإلى حد كبير هوية الشاعر وانتماءه، ومقدساته الدينية وكيفية التعامل معها من قبل المحتل في ظل صمت عربي رهيب ومقيت.

ثانيا: الرمـــوز اليهوديـــة

تنوعت الرموز في الشعر الفلسطيني بتنوع الديانات في فلسطين، والقضية الفلسطينية هي صراع بين اليهود والمسلمين، كما كانت من قبل صراعا بين اليهود والأنبياء و به حل عليهم غضب الله وعقابه، وعلى هذا الأساس نجد الشاعر الفلسطيني معين بسيسو يوظف هذه الرموز ليدل بها على مدى الظلم والإستبداد الذي يتعرض له وطنه يوميا من قبل محتل غاشم ومستبد.

وبما أن معين بسيسو شاعرا مناضلا بقلمه، وقضيته الوحيدة هي القضية الفلسطينية وإبراز معاناته ومعاناة شعبه فهو يلجأ إلى توظيف بهض الرموز اليهودية للدلالة على معاناة الشارع الفلسطيني تارة و صموده في وجه الصهاينة تارة أخرى.

ومن الرموز اليهودية التي وظفها:

1- الشخصيـــات

نوع الشاعر في استحضار شخصيات العهد القديم أو الشخصيات اليهودية وأغلبها من الأنبياء والرسل عبرت كلها عن الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر تارة وعن حالة وطنه تارة أخرى، فمن بين هذه الشخصيات:

1-1 *موسى عليه السلام*

وقد وظفها الشاعر في قصيدة (نفرتيتي) التي قال فيها:

إنني كليم مصرَ فوقَ صخرةِ المقاومهْ
فنادني باسمي الذي ينتظرُ المحاكمهْ
والنيلُ طولُ العمرِ يجري فوق ظهره الأهرامُ
والملوكُ والنبي والإلهْ
والنيل يجري لا يقول آهْ[1]

تقمص معين بسيسو في قصيدة نفرتيتي شخصية النبي موسى عليه السلام واعتبر نفسه كليم الله فوق جبل طور في سيناء، الذي رمز له المقاومة ويعُده رمزا للصمود، فالشاعر يعتبر نفسه جنديا من جنود المقاومة فوق هذا الجبل العظيم، ويشبه نفسه بالنيل الذي تجري فوق ظهره الأهرام، وما أثقل الأهرام لكن النيل حملها فوق ظهره ولم يقل آه ، كما أنه حمل الأنبياء والملوك.

فالشاعر هنا يعبر عن عن حجم الهموم والأثقال المعنوية لا المادية التي يحملها على عاتقه، وقد اشترك مع الأنبياء والملوك في العظمة من الناحية المادية والمعنوية، ومعين بسيسو قد حمل مثل النيل كل هذا الثقل وبقي صامدا يجري مجرى النيل دون أن يلفظ آهاته.

كما أنه كليم الله في مصر، وهو النيل بكل صبره وعزمه وجريانه، فقد استخدم هذا الرمز كبعد من أبعاد رؤيته الشعرية فقد استعار هذه الشخصية ليبيِّن أقصى أنواع العذاب والمعاناة التي يتعرض لها الجندي المصري والفلسطيني من قبل اليهود، ورغم هذا كله فهو عنوان الصمود فوق صخرة المقاومة، والصخرة هنا هي علامة على

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص673.

العلو والإرتفاع فالجبل والمقاومة قد اتحدا معا في صور واحدة وهي العلو والإرتفاع، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إرتفاع الشاعر وصموده وعدم إذلاله من طرف العدو.

1-2 *يوسف عليه السلام*

كان لهذه الشخصية نصيب من شعر معين بسيسو وهذا لأنها تعكس واقع فلسطين مع شقيقاتها الدول العربية، وتعكس واقع بعده عن وطنه وأهله وخلانه وقد جسد كل هذا في قصيدة (العندليب في البئر) التي قال فيها:

للثعابينِ جحورٌ، للعصافيرِ فَنَنْ
آهِ للميتِ كفنْ
ولكلّ الناس في الأرضِ وطنْ
ذلكَ الوشمُ على صَدركِ
يا حُبلى لمنْ ؟
أرضعي للوائدِ الأنثى
وللسبيِ الذكر[1]ْ

ويقول في القصيدة نفسها:

إيهِ يا قافلةَ السَّبِي ،
لقد طالَ السّفَرْ
سَقَطَ الظِلُّ على الظلِّ
وضيّعت الأثرْ
ودليلي قتلتهُ الريحُ
ألقتهُ على البئرِ حجرْ
سألوني كيفَ في السبي
أغنّي ولمنْ؟

[1]- معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص236.

ويقول أيضا:

لم يَزلْ يوسفُ في البئرِ ومنْ
آهِ قد ألقى لهُ الحبلَ هَلَكْ
مُدَّ ألوانكَ يا قوسَ قُزَحْ
مُدَّ ألوانك فالحبلُ انقطعْ[1]

يبدأ الشاعر قصيدته هذه بتحسره على وطنه بآهات طويلة، فيرى أن للثعابين جحورا وللعصافير أفنانا تأوي إليها، وحتى الأموات لها أكفان وأن لجميع الناس أوطان، إلا هو يفتقد لهذا الوطن الذي ظل حلمه الوحيد، ويرى نفسه سبي هذا العصر وإن قافلته قد طال سفرها وضاع أثره لأن الريح قد محت أثره برمالها المتناثرة هنا وهناك.

وفي الأسطر الأخيرة نرى أن معين بسيسو يجعل من نفسه يوسف السبي وهو رمز للتعب والمعانة من جهة ورمز للصمود والتحمل من جهة أخرى.

فهو يطلب المساعدة بإخراجه من غيابات الجب ولكن دون جدوى، ولم يبقى إلا قوس قوس الذي علق عليه آماله، لكن قوس قزح لا حول له ولا قوة فقد ضاع أمله وبقي في غيابات الجب.

والحبل هنا دلالة على القوة والمتانة، هذه القوة التي كان يستنجد بها، لكن في منتصف الطريق انقطع هذا الحبل وتلاشت هذه القوة.

لقد كشفت هذه الأسطر عن ضياع الشاعر ووحدته في«عام 1955 حين ألقي عليه القبض وزُج به في السجن هو وأخوه وغيرهما الشباب في غياهب السجون»[2]، وتعرض حينها للظلم والتعذيب من قبل اليهود، فيوسف الشاعر لم تلتقطه السيارة ولم يتشبث بحبل

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص237.

[2]– ناصر لوحيشي: الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص106.

النجاة ولكنه بقي في غياهب السجن ينتظر قافلة أخرى علَّها تمدُّ له يد المساعدة وتُلقي إليه بحبل النجاة، وفي قصيدة (نفرتيتي) يقول:

يا مصرُ أنا يوسف الفلسطيني
وأنتِ في البئرِ نَخلتي
وأنتِ نافورتي
جَدَّلتُها حبلاً[1]

الشاعر هنا هو يوسف الفلسطيني الذي غُدر به من طرف إخوته العرب، الذين تخلوا عنه وأرادوا قتله لولا اقتراح أحدهم بأن لا يقتلوه ويرموه في الجب ليلتقطه أحد المارة، وكأن هذا الأخ كان أرأف من إخوته الذين أرادوا قتله.

فهو قد وجد مصر التي لم تتخل عنه و تتركه وحيدا، فكانت هي نخلته التي تُغذيه حين يجوع ونافورته التي تسقيه حين يظمأ، ولعل مصر كانت تقف هذا الموقف بسبب الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر الذي عُرف بموقفه الجاد والداعم للفلسطينيين وللقضية الفلسطينية فكان هو رأوبين في العهد القديم«وقال لهم رأوبين: لا تسفكوا دما، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يدا»[2]؛ أي لا تقتلوه وإنما ضعوه في هذه البئر واتركوه وشأنه.

أما في قصيدة (سورة يوسف سلمان) فيقول فيها:

يوسفُ سلمانُ في البئرِ .
يوسفُ الجميلُ .
يوسفُ الذي يشقّ قمصانهْ
على يديه النخيلُ .
لمنْ كلُّ هذه النخلاتِ .

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص673.

[2]– العهد القديم: سفر التكوين [37–22]

على شطّ دجلة الآن تميلُ .
يوسفُ في البئرِ .[1]

تعددت دلالة يوسف عليه السلام في قصائد الشاعر فتارة يدل على حالة الشاعر وهو وحيد في البئر قاطعا أمل النجاة، وتارة أخرى تدل على غربته بعيدا عن وطنه، وفي هذه القصيدة انتقلت دلالة يوسف من يوسف الشاعر الفلسطيني إلى يوسف سلمان السياسي العراقي الذي ينتمي إلى الحزب الشيوعي ويسعى إلى نشر الشيوعية في العراق، وبما أن الشاعر معين بسيسو اشتراكي أيضا فقد اتحدا في هذا الجانب السياسي الذي يفتأ أن يخرج من نطاق المقاومة والوقوف في وجه الدكتاتورية والرأسمالية.

فقد تعرض يوسف سلمان إلى النبذ والاضطهاد وأُدخل السجن ولقي ما لقي من الظلم والهوان، لكن السجان يختلف هذه المرة ، فيوسف سلمان العراقي تم اضطهاده من طرف حكومته الرأسمالية، والشاعر تم اضطهاده من طرف المستعمر الصهيوني، ولكن كلاهما من ضحايا صمت عربي واحد.

فمعين بسيسو يرى أن العالم من حوله أصبح بئرا مظلمة عميقة، ويرى أن العالم من حوله، ويرى في يوسف سلمان الصورة نفسها فكلاهما يقبع داخل سجن مظلمة عميقة لا يختلف كثيرا عن بئر سيدنا يوسف عليه السلام.

وكأن الشاعر يحاول من خلال استحضار هذا الرمز أن يدين هذا العصر الذي أصبح يُهدَر فيه دم الإخوة العرب فيما بينهم بكل برودة مستغلا في ذلك معاناته تجاه قضية وطنه الوحيد السبي من قبل اليهود ومعاناة يوسف سلمان في وطنه من قبل حكومته.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص697.

1-3 *يونس عليه السلام*

جاءت هذه الشخصية- شخصية يونس عليه السلام- في الكتاب المقدس؛ العهد القديم كالآتي«فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما، ذبحوا ذبيحة للرب ونذروا وأما فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال»[1].

كانت شخصية يونس عليه السلام حاضرة في قصيدة (قصيدة من فصل واحد) التي قال فيها:

المنظر السابع

رسالة في زجاجة:

لن يبتلعَكَ، لنْ يلفظّكَ
على الشاطيءِ حوتْ...
((يونُس)) قدْ ماتَ وماتَ الحوتْ
ووحيدٌ أنتَ على سطحِ المركبِ
والمركب يغرقُ...
بَقيتْ فوقَ المائدةِ زُجاجةُ خمرْ
و زُجاجةُ حبرْ...
ماذا تفعلْ ؟
إنّي أسألُك الآنْ
والمركبُ يغرقُ...

[1]- العهد القديم: سفر اليونان[1-16:17]

ماذا تفعلْ ؟
هل تشربْ ،
أم تكتُبْ...؟

(ستار)[1]

يبدو أن الشاعر من خلال هذه الأسطر يائسا فاقد الأمل كغريق على قارب مثقوب قد فقد الأمل في الحياة، فقد وظف رمزية يونس عليه السلام والحوت ليدل بها على تلك الرسالة التي في الزجاجة، فالرسالة هي النبي يونس، والنبي هو الرسالة، أما الزجاجة فهي ذلك الحوت العظيم الذي يحمي الرسالة.

فالحوت وسيدنا يونس عليه السلام قد ماتا في البحر فما مصير الرسالة والزجاجة؟ هذه الرسالة ستظل حبيسة تائهة في بحر الشاعر كما بقي الحوت يجوب البحار والأنهار وهو حامل بجسد يونس عليه السلام فلا أحد سيلتقط هذه الرسالة؛ رسالة المآسي والأحزان وفي قصيدة (يافا في بطن الحوت) يجعل معين بسيسو من يافا، يونس العصر فيقول:

يافا ببطنِ الحوت مازالتْ
يجوبُ بها البحارْ
الحوتُ تاهْ
من ذا يدلُّ الحوتَ يا طفلي
ويطويهِ العبابْ ؟
من ذا يعلّقُ في رِقابْ
هذي الذئابِ السّودِ
أجراساً ،
وبطمعُ في الإيابْ ؟[2]

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص336.

[2]– المصدر نفسه ص239.

تتغير الدلالة هنا لتصبح رمزية يونس عليه السلام إحالة إلى يافا وتتغير رمزية الحوت من الزجاجة في القصيدة السابقة إلى الشاعر والشعب الفلسطيني في هذه القصيدة، فالحوت هنا هو الشعب الفلسطيني العظيم الذي يلتف حول مدينة يافا ويحاول أن يحميها من خطر الصهاينة المحتلين، لكن هذا الشعب العظيم قد تاه وهو يحمل يافا لأنه وحيد في بحر هائج مظلم يحتاج منارة مضيئة وبحرا هادئا، وهو بحاجة إلى من يحطم القيود ويثور على الخوف ويفتح الأبواب لتسطع شمس الحرية على أرض فلسطين.

فيافا هي قطعة من أرض فلسطين وهي عنوان لفلسطين بكاملها، أما في قصيدة (أقدم أوراق اعتمادي كسفير) يقول شاعرنا:

الحوتْ...
خبّأ يونسَ وحماهْ...
الحوتُ حمى يونسْ...
لكنّا نبحثُ في هذا الوطنِ الواسعِ
في هذا البحرِ الواسعِ ،
نبحثُ عن حوتْ...
نبحثُ عن ورقةِ توتْ...[1]

جاء يونس– عليه السلام– في قصائد الشاعر حاملا دلالات مختلفة معاينها، فتارة وظفه الشاعر وجعل منه ميتا ميئوسا من حالته وميئوسا من انتظار خروجه إلى البر وأن الحوت لن يلفظه مرة أخرى في هذا العصر، وتارة أخرى جعل منه أملا ينتظر من يحققه ويخرج فلسطين من ظلمة هذا البحر الهائج، فنجد الشاعر يقوم بالبحث عن بحر واسع وعن حوت عظيم يحمي هذه الأرض التي لاقت ويل الاحتلال ما لاقت، أما الحوت شأنه شأن النبي يونس عليه السلام كان ميتا في قصيدة وكان مكانا آمنا في قصيدة أخرى.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص436.

والبحر أيضا كان في قصائد الشاعر مرة هائج يصفه بالعباب، ومرة مكانَ أمنٍ وأمان واسع يتمنى لو يخرج منه حوتا عظيما ويلقف فلسطين وشعبها ويحميها كما حمى النبي يونس عليه السلام.

1-4 *نوح عليه السلام*

لم يخل الكتاب المقدس(العهد القديم) من توظيف شخصية نوح عليه السلام وقصته مع الطوفان ، هذه الشخصية التي حملت دلالات متفرقة في الشعر العربي المعاصر، ومعين بسيسو واحدا من هؤلاء الشعراء الذين استحضروا شخصية النبي نوح عليه السلام وقصته مع الطوفان الذي الذي طالما كان تعبيرا واضحا في الكشف عن مأساة الشعراء المعاصرين وخاصة الفلسطينيين منهم.

فالطوفان هو دلالة عن غضب الرب كما جاء في سفر التكوين من العهد القديم« فها أنا ذا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في كل ما في الأرض يموت، ولكن أقيم عهدي معك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، و بن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكرا وأنثى»[1].

فدائما ما يقترن اسم نوح عليه السلام بالسفينة والطوفان، وها هو ذا معين بسيسو يوظف شخصية نوح عليه السلام والطوفان ليُعبر بها عن حالته الشعورية، والتي يربطها دائما بالسفر والهجرة بعيدا عن هذا الوطن ففي قصيدة (الديك) يقول:

أناخّ الغروبُ ظلالَ الرحيلِ وعيني مسافرةٌ في الأثرْ
تُفَتشُ عن جرةٍ في الرمالِ وتبحثُ عن جمرةٍ في الحَجرْ
وتسألُ ناطورةً في الرياحِ عن الزرعِ والزارعِ المُنْتَظِرْ
عن الحاصدينَ وقد علَّقوا مناجلهمْ في سقوفِ الشَّجرْ

[1]- العهد القديم: سفر التكوين[6-19:17]

وراحوا على النار يسترجعونَ عهودَ الحصاد وعهدَ المطرْ
عن العاطلين عبيدِ الطريقِ ومولاهمُ الفاتحُ المنتصرْ
ينادونَ نوحَ الشراعِ الكبيرِ وطوفانُهُ نائمٌ في السُرُرْ[1]

معين بسيسو يتحدث في قصيدته هذه عن وقت رحيله وتركه لوطنه وقت الغروب، وهو يفتش عن جرة ماء في الرمال، مارا الرياح يسأل على مصير الزرع والزارعين وعن العاطلين عن العمل وعن مصيرهم في بلادهم المغتصبة، وانتظارهم نوحا وفلكه ليخلصهم من هذا الطوفان بفارغ الصبر ليرحلوا في سفينة نوح إلى مكان آمن.

ففي قصيدة (الشاعر والعرّاف) نجد معين بسيسو يأبى صعود سفينة نوح وكأنه يقول لا أريد أن أهجر وطني سأبقى رغم الطوفان حيث يقول:

فسفينةُ نوحْ
توشكُ أن تُقلِعَ ،
واترُكني للنارِ المختبئه في الريحْ
الليلةُ يخرجُ من قمقمهِ الثّعبانْ
والسّمَكةُ تُلقي خاتمها ،
ويثورُ البركانْ
الليلةُ يتدحرجُ ،
رأسُ السلطانْ[2]

الشاعر لا يريد ركوب السفينة وترك وطنه والابتعاد عنه، فبركان الشاعر الخامد سوف يثور على المحتل ويخرج من فوهته حممه المشتعلة ويقذفها إلى الخارج قاصدا بها هدفه، وهو العدو الصهيوني.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص45.
[2]– المصدر نفسه: ص285.

لجأ معين بسيسو إلى استخدام قوة اللّفظ وقوة الموقف تجاه قضية وطنه ورفضه التام للهجرة، فالشاعر يؤكد وجوده ويكشف عن موقفه الثائر ضد قضية الهجرة والمهجّرين مدعما موقفه بدعوة منه إلى الاتجاه نحو طريق الثورة والهيجان بأسلوب قوي ومباشر.

2- *الأحـــداث*

عمد معين بسيسو إلى توظيف بعض الأحداث التي ارتبطت بالديانة اليهودية، فاستحضرها في شعره لما لها من دلالات و معاني عكست ما يحدث في فلسطين، فعبر بها عن هذا الواقع المرير والمحزن الذي تعاني منه، ومن بين تلك الأحداث نجد:

2-1 *حادثة سيدنا موسى عليه السلام*

تناول معين بسيسو قصة سيدنا موسى وفرعون في بعض قصائده، لما لها من دلالات وإيحاءات تعكس الواقع الأليم الذي تمر به، فقد تأثر تأثرا واضحا، وهذا لما فيها من تطابق الأحداث وتشابهها، وكغيره من الشعراء لجأ معين بسيسو إلى قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم، فكانت قصة النبي موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل وجهة الشاعر في قصيدته (رسالة في زجاجة إلى جمال عبد الناصر) فيقول:

(8)

نحن كما ترى...
والبحرُ هائجٌ كما ترى...
وخَلْفَنَا المطاردونْ
نحن بلا عصى
موسى ،و لا أسطورهْ
وسائلوا العصفوره
نحاول السير بلا معجزة على الطريق

بكل في قدم الإنسان من بريق...[1]

في هذه القصيدة يختلف المطارِد والمطارَد، ففي زمن النبي موسى عليه السلام كان المطارِد هو فرعون بكل قوته وجبروته وطغيانه، والمطارَد هو النبي موسى عليه السلام وبنوا إسرائيل، أما في القصيدة فإن المطارِد هم اليهود الذين كان فرعون وراءهم أيام سيدنا موسى عليه السلام ، والشاعر وقومه هم الضحية.

الشاعر يوظف ويكشف عن مدى الصعاب التي واجهت النبي موسى عليه السلام ومحاولة مطابقتها لواقعه وواقع قومه، لكنه وقومه يفتقدون موسى وعصاه التي يضرب بها، فالبحر وهيجانه دلالة على تأزم الوضع، ففرعون هو الطاغية الذي يرمز به الشاعر لطغيان اليهود في أرض فلسطين وفسادهم في الأرض وهم يعذبون الفلسطينيين كما كان فرعون مع بنوا إسرائيل، ولكن الله نجَّا بني إسرائيل وأرسل لهم موسى عليه السلام ليشق بهم البحر ويأخذهم إلى بر الأمان، وهذا ما نجده في الكتاب المقدس« فقال الرب لموسى: مالك تصرخ إلي؟ قل لبني اسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومُدَّ يدك على البحر وشقه،، فيدخل بنوا إسرائيل في وسط البحر على اليابسة»[2].

هذا ما فعله الله ببني اسرائيل حين نجَّاهم من فرعون وقومه وهذا ما نجده في القرآن الكريم، ففي قصة النبي موسى عليه موسى عليه السلام من سورة البقرة ﴿ وَإِذاَ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلاَءٌ مِنْ رَّبِّكم عَظِيمٌ﴾[3]، وفي سورة طه﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْناَ إِلَى مُوسَى أَنْ اسْرِ بِعَبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى﴾[4].

[1]– معين بسيسو:الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص596.

[2]– العهد القديم: سفر الخروج[14–16:15]

[3]– سورة البقرة: الآية 48.

[4]– سورة طه: الآية 76.

« فطرق البحر التي تفرقت بعصا موسى صارت جافة يابسة، تصلح للمرور والسير عليها، وسارت فيه الاثنتا عشرة جماعة التي خرجت مع موسى عليه السلام»[1].

وقد أراد معين بسيسو من خلال استحضاره لهذه الحادثة الكشف عن مدى احتياج وطنه إلى موسى وإلى عصا موسى لكي تضرب هذا البحر الهائج، وهذا البحر الذي يدل على هيجان الوضع في فلسطين وعدم استقراره، وقد استخدم عصا موسى لأنها المعجزة التي يفتقدها الشعب الفلسطيني في غير زمن المعجزات، ولكن الشاعر يرضخ للواقع ويدرك أنه في زمن يخلو من المعجزات، ويحاول هو ورفاقه السير بلا معجزة فمعجزة الشعب الفلسطيني هي بريق الأمل الذي لا ينطفئ أبدا.

فالشاعر قوة الألفاظ ولغة الإيحاء التي« تقوم أساسا على الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا التصريح بالأفكار المجردة »[2]؛ أي أنه أراد من خلال توظيف هذه الرموز الدالة على حادثة موسى مع فرعون أن يوحي بهيجان الوضع في فلسطين.

2-1 حادثة سيدنا سليمان -عليه السلام – مع الهدهد

لقد اتخذ معين بسيسو من قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد رمزا يشع بالدلالات، ولكنه كان مختصرا لحد كبير عندما ذكر سليمان وربطه بالهدهد ، وقد تم حذف هذه الحادثة من الكتاب المقدس لأنه محرف بالطبع، وبعد هذا التحريف جعل اليهود من طائر الهدهد طائرا نجسا مكروها، وهذا ما جاء في سفر اللاوين«وهذه تكرهونها من الطيور، لا تؤكل، إنها مكروهة: النسر والأنوت والعُقاب، والحدأة والباشق على أجناسه، وكل غراب على أجناسه، والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه

[1]– محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، ص316.

[2]– ناصر لوحيشي: الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص178، نقلا عن عبد الفتاح صالح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، الأردن، (دط)، 1983، ص57.

والبوم والغواص والكركي والبجع والقوق، والرخم والببغاء على أجناسه، والهدهد والخفاش»[1].

فهذا هو السفر الوحيد في التوراة الذي ذكر الهدهد، وقد ذكره بصفة النجاسة أما حادثة سيدنا سليمان والهدهد فقد حُذفت تماما من جميع أسفار العهد القديم، أما في القرآن الكريم فقد حظي هذا الطائر بتمجيد كبير وقد ذكر القرآن الكريم ما جرى مع سيدنا سليمان والهدهد يقول سبحانه وتعالى﴿ وتفقد الطير فقال مالي أرى الهدهد أم كان من الغائبين(20) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين(21)﴾[2].

في هذه الآيات يذكر الله تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد، ولقد استاء سيدنا سليمان من غياب الهدهد وتوعَّده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه[3].

وعندما رجع الهدهد بعد غيابه قال لسيدنا سليمان﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ(22)إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِ شَيء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23)﴾[4].

أي إني اطلعت على ما لم تطَّلع عليه وجئتك بخبر صادق وهو أن هناك امرأة في بلاد اليمن من مملكة عظيمة تملكهم[5].

فهذه الآيات الكريمة هي دلالة على ما حدث بين سيدنا سليمان والهدهد، ولعل غياب الهدهد وطريقة حديثه مع سيدنا سليمان هي التي جعلت الشاعر يرى أنَّ الهدهد ضد سليمان في قصيدة(نفرتيتي) التي قال فيها:

---

[1]- العهد القديم: سفر اللاوين[11-19:13]

[2]- سورة النمل: الآيتان 20-21.

[3]- ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص613.

[4]- سورة النمل: الآيتان 22- 23.

[5]- ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص614.

يا بنت مصرَ ما أجملَ المنديلْ
حينما يكون نهرُ النيلْ
يا بنتَ مصر ما أجمل الحمامهْ
حينما تكونُ فوقَ الصدرِ شامهْ
ما أجمل المومياء في التابوتْ
ترفض أن تموتْ
والعصافيرُ تبني للملائكهْ
أعشاشها في الغصونِ الشائكهْ
وحجرٌ في سدّ أسوانْ
وهدهدٌ ضد سليمانْ
وشجرُ الرمانْ[1]

يصف معين بسيسو في هذه الأسطر كل مظاهر التحدي التي يراها جميلة، فهو إذا يلجأ إلى المفارقة التصويرية في شعره « فالشاعر المعاصر يشغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعَّال في إبراز أبعادها»[2].

فهذا التناقض هو الذي يظهر حسن القصيدة ويبيِّن دلالتها، ومعين بسيسو في هذه القصيدة يتحدى الموت ويضع حياة فوق الأسلاك الشائكة، ويتحدى الملوك عندما وظف طائر الهدهد ووقوفه ضد سليمان ؛ وفي الحقيقة أن الهدهد لم يقف موقفا ضد سليمان بل على العكس، وإنما أراد الشاعر من خلال استحضاره لهدهد سليمان أن قد غاب غيابا طويلا وعند عودته لم يتوسل ولم يكلم الملك سليمان بطريقة ذليلة ورأس مطأطأ كما هو

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص675.
[2]– علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص 130.

حال تعامل الوزراء والسادة مع ملوكهم، لكن على العكس فقد وقف بعيدا منه وقال له ﴿ لَقَدْ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾[1].

فكيف لطائر مثل الهدهد أن يعلم ويُحِط بما لم يُحِط به سيدنا سليمان عليه السلام وهو ملك من ملوك إسرائيل وقد سُخِرت له الجن والشياطين والريح.

2-2- *حادثـــة العجـــل الذهبـــي*

لقد ذُكرت هذه الحادثة في سفر الخروج من العهد القديم، وذُكرت أيضا في القرآن الكريم ، ولأن التوراة مُحرفة لم يجيء ذكر هذه الحادثة مثلما هو في القرآن الكريم، سفر الخروج « ولما رأى الشعب أنَّ موسى أبطأ النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من ارض مصر، لا تعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأثوابها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل، وصنعه عجلا مسبوكا»[2].

ففي التوراة ترجع خطيئة العجل الذهبي إلى هارون عليه السلام، بينما في القرآن الكريم نجد عكس ذلك تماما يقول تعالى﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارُ أَلَمْ يَرَوا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[3] ونجد قوله في سورة طه﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَومِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِي فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[4].

---

[1]- سورة النمل: الآية21.

[2]- العهد القديم: سفر الخروج[32-4:1]

[3]- سورة الأعراف: الآية 148.

[4]- سورة طه: الآية 86.

تم استدعاء هذه الحادثة في قصيدة (استمعوا لي) التي قال فيها:

إستمعُوا لي ،
إسمعني يا وطني ،
فالآنَ خريفُ الأغلالِ يولِّي
والآنَ سأحرقُ ظِلِّي
كي لا أتمدَّدَ في ظِلّي
صَمْتاً صَمْتاً، يا حملةَ أبواقِ
– الخفَاش الخَشبي–
يا أكَلَةَ قُربانِ– العجلِ الذهبي–
صمتاً، ولترفعْ بَيرقَها
العاصفةُ السرّيةُ ، والبرقُ السِّري[1]

يُخاطب معين بسيسو في هذه القصيدة اليهود المحتلين مستهزءا بهم و مستهزءا بما يفعلوه حيال العجل الذهبي، وقد جعل من هذا العجل رمزا ساخرا دالا على اليهود وجبنهم، وفي الوقت نفسه نجد الشاعر يتوعدهم بعاصفة كتلك التي ضرب الله بها قوم موسى عليه السلام بعد اتخاذهم العجل التي أمرهم الله فيها بقتل بعضهم ليتوب عليهم تكفيرا على ما أقدموا عليه من ذنب في حق الله عزوجل.

أما عاصفة الشاعر هي عاصفة سرية وبرقها سري، وهي عاصفة الشعب الفلسطيني وغضبه و هيجانه على الظلم، فهذه المفارقة التصويرية التي استخدمها معين بسيسو في قوله(العاصفة السرية، والبرق السري) فالعاصفة هي التي تعصف بكل شيء وهذا لا يكون سرا، وكذلك بالنسبة للبرق، فالعاصفة والبرق اللذان يتحدث عنهما الشاعر هما عاصفة سياسية وبرق سياسي سري لا يُعطي مؤشرات على هبوب العاصفة، فبرق الفلسطينيين وعاصفتهم سرية دون إنذار سابق.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 159.

وفي قصيدة (المُخَلِّص الكذاب المستر فوستر دالاس) يجمع بين الرمز المسيحي والرمز اليهودي ويجعل من السيد المسيح عليه السلام عجلا ذهبيا فيقول:

يا كلَّ فرسانِ الوحولْ
حَوطِّوا عجلَ الذهبْ
من قبلُ في عشائهِ الأخيرْ
قال لنْ يخونَني منكمْ أحدْ
يا إخوتي لحمي لكم قرصُ عسلْ
خمرٌ دَمي لكم كفرحةِ الحياةْ[1]

يجمع معين بسيسو في هذه الأسطر بين ثلاث خيانات خيانات بني إسرائيل لموسى عليه السلام واتخاذهم العجل، وخيانة يهوذا للمسيح عليه السلام، وخيانة فوستر دالاس للفلسطينيين، فقد جسد هذه الخيانات ليحيل إلى خيانة فوستر دالاس للشعب الفلسطيني.

فالخائن الوحيد في هاتين الحادثتين هو اليهود وهذه هي غاية الشاعر من توظيف هاتين الخيانتين في قصيدة واحدة، فقد تعرض النبي موسى عليه السلام والمسيح عليه السلام للأذى من قِبل اليهود وهاهي المأساة تتجدد مع الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين، فجون فوستر دالاس شأنه شأن السامري في خيانة موسى عليه السلام، وشأنه شأن يهوذا الاسخريوطي في خيانة المسيح عليه السلام.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص130

3- *الأمكنـــة*

قام معين بسيسو باستحضار الأمكنة الدينية في قصائده، حيث أنها لم تكن مجرد أمكنة ساكنة جامدة، بل كانت تحمل دلالات رمزية مثل مدينة القدس التي اقترب منها الشعراء أكثر من أي وقت آخر، بل إن القدس هي التي اقتربت منهم لدرجة الالتصاق والتلاحم، ملونة بأصباغ من عواطفهم ورغباتهم، فنظروا إليها حلما وهوية ووجودا ورمزا، ومن الأمكنة التي لها علاقة باليهود نجد:

3-1 *أورشليـــم*

وهي بيت المقدس أو القدس أو فلسطين« أو جوروسليم وأصل هذه الأخيرة Ursalem، أي مدينة السلام وهي أصلا[يوراه سالم] أورشليم، و يوراه بمعنى مكان وشالم هو إله السلام»[1]، فهي مدينة السلام أو مكان السلام عند اليهود.

وقد وظف معين بسيسو رمز أورشليم في قصيدة(إله أورشليم) حيث قال:

إذا نسيتْ
أنَّ بينَ ثديْ أرضنا ببيتْ
إلهُ أورشليمْ
وأنَّ من قطوفْ
دَمِنا يَعتصرْ
الشهدَ واللّبنْ
وخمرةَ السّنينْ[2]

[1]– محممود الشرقاوي: أورشليم قاتلة الأنبياء،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1968، ص21.

[2]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص144.

وقال أيضا في القصيدة نفسها:

إذا نسيتْ
أن أغرسَ الطريقْ
لصدر بَياراتنا وللكرومْ
سيفاً من الجَحيمْ
في عينيْ إلهِ أورشليمْ[1]

يرى الشاعر في عيني إله أورشليم كل أساليب القمع والاغتصاب ويرى من هذا الإله إله أورشليم إله ماكر مضطهد ، هذا الإله الذي يعتصر دماء الفلسطينيين ليستخلص منها الشهد واللبن والخمر، وكأن فلسطين وشعبها جنة من أنهار العسل واللبن والخمر يسكنها الصهاينة، فالشاعر ينظر إلى هذا الرمز– إله أورشليم– نظرة سلبية، فهو يحمل دلالة المكر والعنف والاضطهاد باعتباره رمزا يهوديا بكل معانيه، وينتمي الشاعر في آخر أسطر القصيدة لو أنه يستل سيفه من نار الجحيم ليغرسه في عيني إله أرشليم.

وقد كان رأي الشاعر في أورشليم عندا استحضرها كدلالة على رمز يهودي بمعنى الكلمة مثل رأي يسوع في إنجيل متى عندما قال« يا أورشليم، يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها»[2].

فهي في نظر المسيح قاتلة كما في نظر الشاعر معين بسيسو، فاليهود في أورشليم « يشكلون بنكا جشعا يعبد المال ويحتكر الثروة، ويضرب الفقراء والمحتاجين بسياط الربا والاستغلال والجشع »[3].

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة(المصدر السابق)، ص145.

[2]– العهد الجديد: إنجيل متى[23–27].

[3]– محمود الشرقاوي أورشليم قاتلة الأنبياء، ص77.

فأورشليم هي جنة اليهود التي يحتكرون مالها ويأكلون خيراتها وثرواتها، وبالمقابل هم يحرمون أهلها من خيرات بلادهم ويعذبونهم بالربا والاستغلال الجشع.

3-1 جـــدار *المبكـــى*

وظف معين بسيسو هذا المكان الرمزي الذي هو في الأساس ملكية خاصة بالفلسطينيين، تحت اسم حائط البراق وهذا الحائط الذي ربط عنده الرسول صلى الله عليه وسلم بُراقه ليلة الإسراء، لكن« الكيان الصهيوني المغتصب لأرض لا حق له فيها بكل المقاييس والوثائق والأعراف»[1]، وقد استغل هذا الحائط وحوَّله من حائط البراق إلى جدار المبكى.

فحائط البراق هو مكان مقدس للمسلمين الذي تم اغتصابه منهم وصار مكانا مقدسا لليهود تحت اسم حائط المبكى أو جدار المبكى، وذلك لأنهم« يعتقدون أنه البقية الباقية من الهيكل القديم ويأن الحضور الإلهي ولا يبرحه»[2]، وهو مكان يؤدي فيه اليهود عباراتهم وصلواتهم وهو المكان الذي يلجئون إليه عند بكائهم ونواحهم، حيث أنه يُعتَبر موقعا ومكانا دينيا يستعمل لهذه الغاية.

فالشاعر يشيِّد من دموعه جدار مبكى ويجعل من خيمته منديلا للعويل نتيجة ما يحدث في بلاده من اغتصاب وظلم وعدوان، حيث قال في قصيدة (إله أورشليم):

و كي أشَيِّدْ
من الدموعْ
جدارَ مَبكى وكي أُحيلْ
خيمتي منديلْ

---

[1]- زينب عبد العزيز: من حائط البراق إلى جدار العار، القبس للطباعة والنشر وفصل الألوان، القاهرة، مصر، ط1، 2004. ص09.

[2]- المرجع نفسه: ص204

للعويلْ
علي الذهابْ
بلا إيابْ[1]

استخدم الشاعر ألفاظ(الدموع، جدار مبكى، منديل العويل، الذهاب) كل هذه الألفاظ دالة على معاناة الشاعر، ورمزا للمأساة وعدم الاستقرار والتهديد بالرحيل.

فقد جعل من دموعه تشييدا و بناء لجدار طويل، و هذا رمز يحمل دلالة واضحة على مواصلة البكاء لكي يصل طول دموع الشاعر إلى طول جدار المبكى أو أطول، فدموعه هي اللبنات التي يتكون منها جدار بكاء الشاعر ليصبح عنوانا على مدى الحزن والألم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني.

فلم يكن لليهود حائطا وكانوا يبكون عليه ولم يكن لديهم مبررا لهذا البكاء، وقد أصبح للفلسطينيين في كل أرض حائط وأصبحوا يبكون عنده وأصبح لديهم مبررا للبكاء[2].

3-2 *سينـــاء*

شكلت سناء في شعر معين بسيسو تلك القوة الخارقة والجبل الصامد المقاوم، إذ نجده يشير إلى سيناء بجبل طور تارة بالمقاومين تارة أخرى وأحيانا يضعها في كفة فلسطين، فكما تم اغتصاب فلسطين من قبل اليهود، كذلك الأمر نفسه مع سيناء لأن محنة سيناء ومحنة فلسطين واحدة، فالشاعر جعل من نفسه نبي الله موسى وكليمه فوق جبل طور ورمز إلى هذه الصخرة بجبل طور في صحراء سيناء وفوقها مقاوم فلسطين.

أشار معين بسيسو إلى جبل طور في سيناء الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام عندما أنزل الله له الألواح ولكنه لم يشر إلى هذه الحادثة فقد جعلها رمزا دالا على مقاومة

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص144.

[2]– ينظر: أنيس منصور، الحائط والدموع، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1982، ص08.

الشعب المصري للعدوان الثلاثي الذي شهدته مصر سنة 1956 من قبل اسرائيل وفرنسا وبريطانيا، وانتهت هذه الحرب بانتصار جمال عبد الناصر وتأميم قناة السويس المصرية.

يقول معين بسيسو في قصيدة (نفرتيتي):

إني كليمُ مصرَ فوقَ صخرةِ المقاومهْ
فنادني باسمي الذي ينتظرُ المحاكمهْ
النيلُ طولُ العمرِ يجري فوقه الأهرامُ
والملوكُ والنبيّ والإلهْ[1]

ويقول في القصيدة نفسها:

رأيتُ مصرَ برملِ سيناء مكحلهْ
تكسرُ عنقوداً على ركبتها وسنبلهْ
وتغسلُ المقصلهْ[2]

وهذه الأسطر هي دلالة على استرجاع مصر قوتها وصلابتها واسترجاع أرضها، وتعود الدلالة الرمزية لغسل المقصلة إلى انتهاء الحرب وانتصار مصر وحقن الدماء والانتصار السياسي أيضا، ودلالة تكحل مصر برمل سيناء هي استرجاعها لملكية الأرض حتى وإن مازالت مطامع اليهود فيها إلى حد الساعة باعتبارها أرضهم من وقت التيه في عهد النبي موسى عليه السلام.

فالشاعر يرى في سيناء ما يراه في فلسطين فهو يدعو ويحرض على المقاومة وتحَمُّل الصعاب والآلام في سبيل حماية الوطن.

[1]– معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة، ص673.

[2]– المصدر السابق: ص675.

هكذا كان تعامل الشاعر مع الرموز المسيحية واليهودية،فهو يدعو الشعب الفلسطيني من وراء قضبان زنازين الظلام ومن وراء البحار إلى الثورة، فإن الثورة هي الغضب الذي ينتهي باسترجاع فلسطين من اليهود.

فقد كانت هذه الرموز هي الكلمات أو المعاني التي لم تستطع اللغة التعبير عنها فصاغها الشاعر في قالب رمزي متنوع بتنوع الديانات في أرض فلسطين.

خـــاتمـــة

وفي خاتمة هذا البحث الذي تمحور حول الرمز الديني في شعر معين بسيسو والذي حاولنا فيه التركيز على أنواع الرموز الدينية ودلالاتها بناء على ثقافتنا الدينية.

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى عدة نتائج أهمها وأبرزها:

أنَّ الرمز في أغلب المعاجم العربية، إذ نجده يدل على الإشارة والإيماء و العلامة.

من سمات الرمز، الإيحائية والغموض والإيجاز وغير المباشرة في التعبير؛ و هذا ما جعله يأتي في قالب جمالي فني يزيد من جمالية النص.

يخلق الرمز وينشأ من الواقع ليتجاوزه ويصبح شيئا مجردا ومعنويا يتعدى كل حدود الواقع.

أغلب قصائد الشاعر كانت ثورية وطنية حاملة للنزعة القومية، تدعو إلى الصمود تارة وإلى التحريض على الثورة وتحرير بيت المقدس تارة أخرى.

وظف معين بسيسو الرموز الدالة على المعاناة و الاضطهاد والخيانة التي ارتبطت بالشخوص والأحداث، حيث عبر بها عن حالة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الإستعمار.

كما رأى في بعض رموز الشخصيات دلالة على الطغيان، فاستحضرها من ماضيها وأكسبها دلالات عصرية تتوافق والوضع الفلسطيني.

كما عبر معين بسيسو عن حالته الشعورية وعن حالة الشعب الفلسطيني في استحضاره لشخصية المسيح عليه السلام رامزا بها إلى قمة المعاناة والاضطهاد من طرف اليهود.

تطرق الشاعر إلى ذكر بعض الأماكن المقدسة التي كانت بعضها دلالة على الأمن والأمان والبعض الآخر رمز للدماء والمعاناة بكل معانيها، والقصد من ورائها هي أرض فلسطين الجريحة.

وقد كانت رموز معين بسيسو متنوعة بتنوع الديانات في أرض المقدس الطاهرة، فجمع شعره بين الرموز الإسلامية والرموز المسيحية إضافة إلى الرموز اليهودية التي اهتم فيها الشاعر باستحضار كل ما يعكس الواقع المعيش في بلاده على جميع الأصعدة.

ساعدت هذه الرموز التي تمحورت حول الأحداث، الشخصيات والأمكنة على نقل واقع فلسطين والتعريف بالقضية الفلسطينية وبجرائم الكيان الصهيوني منذ نشأته وحتى الآن.

وفي الأخير نحمد الله ونشكره على إنجاز هذا البحث ونسأله التوفيق لما هو آت ونرجو أن يكون البحث ذو فائدة لكل من يتلقاه.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

* الكتاب المقدس بعهديه(القديم والجديد)

أولا: *المصـــادر*

1- معين بسيسو:الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة بيروت، لبنان، ط3، 1987.

ثانيا: المراجع العربية

2- ابراهيم أحمد الميلاد:على خطى كربلاء،دار المؤمل للطباعة والنشر،بيروت،لبنان، ط1، 2013.

3- ابراهيم رماني:الغموض في الشعر العربي الحديث، هيئة الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب،الجزائر، الجزائر،(دط)،2003.

4- إحسان عباس:إتجاهات الشعر العربي المعاصر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، الكويت، (دط)، 1998.

5- أحمد أشقر:التوراتيات في شعر محمود درويش، قدمس للنشر والتوزيع،دمشق، سوريا، ط1، 2005.

6- أحمد زكي كنون: المقدس الديني في الشعر العربي المعاصر، افريقيا الشرق، الرباط، المغرب،(دط)، 2006.

7- أحمد علي المجدوب:أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1990.

8- أنيس منصور: الحائط والدموع، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1982.

9- إيليا حاوي:الرمزية والسريالية في الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، بيروت،لبنان، (دط)، 1998.

10- بسام الجمل: من الرمز إلى الرمز الديني، مطبعة التسفير الفنية، صفاقس، تونس، ط1، 2007.

11- بلال موسى العلي: قصة الرمز الديني،(د د)،(دب)،(دب)،(دط)،2012.

12- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:تاريخ الخلفاء، مركز دار المناهج للدراسات والتحقيق العلمي، بيروت، لبنان، ط2، 2013.

13-جوليان بطرس يوسف الخولي:في الرحاب الإنجيلية(رموز مسيحية)،(ددن)،بيروت، لبنان، ط1، 2007.

14- عبد الحكيم الكعبي: عصر الخلفاء الراشدين، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2012.

15- خالد الكركي:الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ط1، 1989.

16- أبو عبد الرحمن عوض بن لطفي الحزار: مختصر صحيح تفسير ابن كثير، دار ابن رجب ودار الفوائد، ، القاهرة،مصر، ج1، 2007.

17- زينب عبد العزيز: من حائط البراق إلى جدار العار،القبس للطباعة وفصل الألوان، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

18- سعدي أبو شاور: تطور الإتجاه القومي في الشعر الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان، الأردن، ط1، 2008.

19- السعيد بوسقطة:الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ط2، 1993،

20- سليمان بن حمد العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1993.

21- عباس محمود العقاد:داعي السماء، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة، مصر، (دط)، 2012.

22- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر،(دط)، 1997.

23- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، مصر، ط4، 2002.

24- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط7، 2008.

25- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل(ابن كثير): قصص الأنبياء، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط5، 1997.

26- عبد الفتاح صالح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، الأردن، (دط)، 1983.

27- قيس كاظم الجنابي: أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

28- كامل فرحات صالح:الشعر والدين،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 2010.

29- محمد جلال كشك: لمحات من حطين، لجنة القدس، القدس، فلسطين، ط1، 1985.

30- محمد الشرقاوي: أورشليم قاتلة الأنبياء، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر،(دط)، 1968.

31- محمد شت خطاب: قادة فتح الأندلس، منار للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، مج1، 2003.

32- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها،دار الفارابي،بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1994.

33- محمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر، ط3، 1984.

34- محمد كعوان:التأويل وخطاب الرمز، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2003.

35- محمد بن عبد الهادي الشيباني: القول السديد في سيرة الحسين الشهيد، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، الكويت، ط1، 2010.

36- ناصر لوحيشي:الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الطليعة،الجزائر، الجزائر، ط1، 2004.

37- نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، ط1، 2003.

38- ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.

39- هيفرو محمد علي ديركي:جمالية الرمز الصوفي،دراسات التكوين للتأليف والترجمة، دمشق، سوريا، ط1، 2009.

40- يوسف نوفل: تجليات الخطاب الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر،ط1، 1968.

ثالثا: المراجع المترجمة

41- أنا ماري شيمل: الأبعاد الصوفية وتاريخ التصوف، تر:محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا،ط1، 2006.

42- بول ريكور: صراع التأويلات دراسات هيرومنطقية، تر:منذ عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2005.

43- تزفيتان تودوروف: نظريات في الرمز، تر: محمد الزكاوي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

44- رينيه ويليك أوشن وارن: نظرية الأدب، تر:عادل سلامة، المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1992.

45- كولوريدج: الخيال الرمزي، تر: عيسى علي العاكوب، معهد الإيماء العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1992.

46- مارسيا إلياد:المقدس والمدنس، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1988.

47- والتر ستيس:فلسفة الروح، تر:إمام عبد الفتاح،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

رابعا: المعاجـــــم

48- (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر،(دط)، مج1،(دت).

49- (الزمخشري) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1998.

50- (الفيروزأبادي الشيرازي الشافعي) مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، مج2، 1978.

51- مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

52- نواف نصار:المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

خامسا: الرسائل الجامعية

53- جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، مذكرة دكتوراه(مخطوطة)،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،2007-2008.

سادسا: المجلات

54- مجلة الأثر: جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع19، 2014.

55- مجلة دراسات: جامعة تشرين، دمشق، سوريا، ع15، 2013.

56- مجلة شؤون الفلسطينية: حزيران، يونيو، ع22، 1973.

سابعا: المواقع الإلكترونية

57- www.albinaa.com 2016/02/19 الساعة 10:26.

58- www.mawdo3.com 2016/02/22 الساعة 19:51.

59- www.alwatanvoice.com 2016/06/02 الساعة20:47.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ-ب

مدخـل: ماهيـــة الرمــز

أولا: مفهـوم الرمــز.....04

أ- لغـــــة..... 04-05

ب- إصطلاحا.....06-11

ثانيا: أنواع الرمز.....12-14

1- الرمز الأسطوري.....12-12

2- الرمز التاريخي.....12-12

3- الرمز الصوفي.....13-13

4- الرمز الديني.....13-13

5- الرمز الطبيعي.....14-14

ثالثا:سمات الرمز.....14-16

أ- الإيحائية.....14-14

ب- الإنفعالية.....15-15

ج- التميثيل.....15-15

د- الإيجاز.....15-15

هـ- الإتساع.....15-15

و- الإيهام.....15-15

ز- التلغيز.....15-15

ح- السياقية.....16-16

ط- غير المباشرة.....16-16

رابعا: كيفية تشكل الرمز.....16-18

الفصل الأول: الرموز الإسلاميـــة

أولا:الشخصيات.....20-38

1- علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه).....21-22

2- عثمان بن عفان.....22-23

3- بلال بن رباح.....24-26

4- أبو ذر الغفاري(رضي الله عنه).....26-29

5- الحسين (رضي الله عنه).....29-31

6- صلاح الدين الأيوبي.....32-34

7- طارق بن زياد.....34-35

8- المعتصم بالله.....35-38

ثانيـــا: الأحداث.....38-45

1- حادثة نزول الوحي.....39-41

2- حادثة الإسراء والمعراج.....42-43

3- معركة حطين.....43-45

ثالثـــا: الأمكنة.....46-51

1- غار حراء وغار ثور.....46-47

2- كربلاء.....47-48

3- القدس.....48-51

الفصل الثاني: الرموز المسيحية واليهودية

أولا:الرموز المسيحية.....53-70

1- الشخصيات.....54-59

1-1 المسيح عليه السلام.....54-55

1-2 مريم عليها السلام.....56-57

1-3 أصحاب الكهف.....58-59

2- الأحداث.....60-66

2-1 حادثة العشاء الأخير.....60-64

2-2 حادثة الصلب.....64-66

3- الأمكنة.....66-70

3-1 الكنيسة.....67-69

2-3 المذبح.....69-71

ثانيـــا: الرموز اليهودية.....71-95

1- الشخصيات.....71-82

1-1 موسى عليه السلام.....72-73

1-2 يوسف عليه السلام.....73-76

1-3 يونس عليه السلام.....77-80

1-4 نوح عليه السلام.....80-82

2- الأحداث.....82-89

2-1 حادثة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون.....82-84

2-2 حادثة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد.....84-87

2-3 حادثة العجل الذهبي.....87-89

3- الأمكنة.....90-95

3-1 أورشليم.....90-92

3-2 جدار المبكى.....92-93

3-3 سيناء.....93-95

خاتمـــة.....97-98

قائمة المصادر والمراجع.....100

مـلـخـــص

تعالج الدراسة قضية الرمز الديني في شعر الشاعر الفلسطيني **معين بسيسو** من خلال نماذج مختارة، و تبحث هذه الدراسة عن ماهية الرمز بشكل عام وعن أهم الرموز الدينية التي وظفها الشاعر في شعره ، وكيف عمل على تجسيدها وإعطائها طابعا معنويا تصيرها أداة جمالية و فنية تصف حياة الشعب الفلسطيني المناضل، وتصور واقعه المأساوي والبائس في مواجهته للاحتلال الغاشم.

Abstract

This study addresses the issue ofrelegious icon in the poetry of Palestinian poet **Mouin Basisou**, Through selected models, looking thisstudy what the code in general, and the most important religious symbols empoyed by the pot in his poems , and how they workd to embody and give it a moral demension and make them an aesthetic tool , and technical describe life the brave Palestinian people , and the perception of reality and the tragic and miserable in the face of the brutal colonization.